# حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة الرابعة عشرة / (مايو - يونيو) ٢٠١٩

72

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | May - June 2019

## سلالم حيرى

سلالمُ حَيْرَى تَبَدّتْ أمامَكْ
مُشوّشةً لن ترَاها سَلامَكْ
تأمّلْ قليلا لتُدركَ دَرْبًا
قَويما وتبْلغَ فيه مرامَكْ

***


٢ الاستعصاء على الاهتراء
**فتح الله كولن**

٥٢ هل ستقضي الروبوتات على إنسانيتنا؟ / **د. ناصر أحمد سنه**

٥٩ حاجتنا الماسة إلى الرحمة
**أ.د. محيي الدين عفيفي**

# عبير الإنسانية

أقلام هذا العدد من "حراء" تعلو وتتسامى بالأفكار المضيئة -كما هو دأبها في كل عدد- وتفتح أبوابًا جديدة في عالم التأمل والتفكر، تبذر البذورَ التي تنبت حبًّا وسلامًا وتآلفًا ورحمة في عصرنا، لتستنشق البشرية أنفاس الحياة، ويغدو عبير الأخوة الإنسانية يعطر كل الأرجاء. وعلى رأس هذه الأقلام النيرة يأتي مقال الأستاذ فتح الله كولن "الاستعصاء على الاهتراء" لينبهنا فيه على ضرورة تجديد النظر إلى الكون وإعادة قراءته من جديد كل يوم بعمق أكثر؛ إذ "إن الذين لا يَعتبرون كل يوم بدايةً جديدة لانبعاث جديد، ولا يقرؤون الكون ولا يقَيّمونه من خلال وضعه تحت مجهر العصر الذي يعيشونه، ولا يُعيدون التعمق في قراءة ذواتهم كل يوم وكأنهم يكتشفون عالَمًا جديدًا؛ أولئك يُحتِّم عليهم قدرُهم أن يعيشوا شيخوخة في مشاعرهم وأحاسيسهم، ويَخمَدَ عشقُهم وتذوب أشواقُهم ويَفسُدَ قوامُهم".

وإذا كانت حراء حريصة على أن تحلّي صفحاتها بالمقالات المتنوعة التي تتناول كلٌّ منها جانبًا من جوانب القيم والمعارف الإنسانية الشاملة؛ فإن "عرفان يلماز" في مقاله العلمي "العنكبوت.. قصة عجيبة" يحدثنا عن أسرار العنكبوت ونسيجه الذي لا تزال ماهيته وطريقة صنعه لغزًا يحير ألباب كثيرٍ من العلماء حتى الآن، كما يكشف عن دور هذا المخلوق العجيب في الحفاظ على التوازن البيئي.

أما "مجيد الحداد" فيسلط الضوء في مقاله "أطياف الفكر الإنساني فوق عتمات الهواجس"، على منظومة القيم الأصيلة وصلتها بالفكر الرشيد، ومن ثم أهمية الحفاظ عليها، فعندما تنهار هذه المنظومة "وتنهد معالم الفضائل، ويستأسد العبث، ويتغول الطيش، يفقد السلوك الآدمي البوصلة، وتضيع مقاصد الأعمال، وتفسد النوايا".

إن الجو -ولا سيما في فصل الربيع- تعتريه تقلبات مختلفة ما بين برودة وحرارة، يحتاج معها الجسم إلى أن يضبط تكييف حرارته آليًّا، ومن هنا يوضح "خلف أحمد أبو زيد" في مقاله الموسوم بـ"في جسمنا جهاز تكييف". عملية التكيّف هذه، ويجيب عن عديد من التساؤلات العديدة المثيرة حول هذا الموضوع.

ويظلُّ خطر الاستنساخ البشري هاجسًا يؤرق الإنسانية فكرًا وضميرًا، لذا يجول "بركات محمد مراد" في آفاق هذا الموضوع ليجيب عن السؤال الذي جعله عنوانًا لمقاله "هل الاستنساخ البشري خطر على مستقبلنا؟" وليحدثنا باستفاضة عن علاقة الاستنساخ بالأخلاق والقانون وموقف الباحثين منه.

لقد كانت المساواة الإنسانية رجاءً ملحًّا بذلت البشرية فيه كثيرًا من المهج والأرواح في سبيل إقراره على النحو الذي يتجلى الآن في العالم المعاصر، ومن ثم فقد سلط فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة في مقاله "المساواة حق إنساني"، الضوء على الحقوق الإنسانية التي جعلتها شريعةُ الإسلام ضرورة واجبة تشمل كل البشر، انطلاقًا من "ضرورة تطبيق مفاهيم المساواة الإنسانية في إطار من احترام الاختلاف والتمايز بين الناس، وعدم الاعتداء على هويتهم الذاتية".

وفي لمحة إبداعية متميزة أكد الأستاذ الدكتور "الشريف حاتم العوني" في مقاله "الإبداع الوليد" على أن "الإبداع الحقيقي لن يكون بالتنكر للإبداع القديم، بل باكتشافه من معادنه الأصلية من دون الاعتماد على الوسائط غير الأمينة عليه لعدم كفاءتها من كثير من المتأخرين والمعاصرين، ثم ببناء إبداعنا على إبداعهم".

إن بستان حراء الأخضر وربيعها الأزهر يحرص دائما على تقديم كل أنواع ثمار الفكر اليانعة وكافة ظلال المعرفة الوارفة في أبهى حلة وأجمل زينة.. ولا شك أن لكتابنا الكرام وقرائنا الأعزاء النصيب الأوفى في ذلك، فلهم منا عاطر المحبة وجزيل الشكر.. رمضان كريم، وكل عام أنتم بألف خير وصحة وسعادة. ■

# المحتويات


| | |
|---|---|
| **الاستعصاء على الاهتراء** / فتح الله كولن (المقال الرئيس) | ٢ |
| **العنكبوت.. قصة عجيبة** / أ.د. عرفان يلماز (علوم) | ٥ |
| **السعادة ثمرة النجاح** / نجوان السيد (تربية) | ٩ |
| **المنهج التجريبي الحديث.. إلى أين؟** / د. خالد حربي (قضايا فكرية) | ١١ |
| **أطياف الفكر الإنساني فوق عتمات الهواجس** / مجيد الحداد (قضايا فكرية) | ١٥ |
| **في جسمنا جهاز تكييف** / خلف أحمد أبو زيد (علوم) | ١٨ |
| **هل الاستنساخ البشري خطر على مستقبلنا؟** / أ.د. بركات محمد مراد (تربية) | ٢٠ |
| **الرواية وإعادة تحبيك التاريخ** / د. عبد الرحيم الحسناوي (أدب) | ٢٤ |
| **المساواة حق إنساني** / أ.د. علي جمعة (قضايا فكرية) | ٢٨ |
| **الإبداع الوليد** / د. الشريف حاتم العوني (تربية) | ٣٠ |
| **تلوث يدمر كل عمل** / فتح الله كولن (قطوف) | ٣٢ |
| **من قواعد التفكير السليم** / طارق خايف الله (قضايا فكرية) | ٣٤ |
| **حبل الدمع** / حراء (ألوان وظلال) | ٣٦ |
| **شعرك سر جسمك** / د. محمد السقا عيد (علوم) | ٣٧ |
| **تعظيم الأثر الاجتماعي للتمويل الخيري** / حسين عبد المطلب الأسرج (قضايا فكرية) | ٤١ |
| **الحيوان طبيب نفسه** / صالح القاضي (علوم) | ٤٤ |
| **الإصلاح في عالم المسلمين** / عبد العزيز الإدريسي (قضايا فكرية) | ٤٨ |
| **هل ستقضي الروبوتات على إنسانيتنا؟** / د. ناصر أحمد سنه (علوم) | ٥٢ |
| **فتح الله كولن والنهج العقلاني** / د. عبد الإله بن مصباح (قضايا فكرية) | ٥٦ |
| **حاجتنا الماسة إلى الرحمة** / د. محيي الدين عفيفي (قضايا فكرية) | ٥٩ |
| **مروج العطاء** / حراء (ألوان وظلال) | ٦١ |
| **وقت الحساب** / ياسر الششتاوي (أدب) | ٦٢ |
| **النور الساطع** / د. حسن الأمراني (شعر) | ٦٣ |

# الاستعصاء على الاهتراء

إن المجتمعات في هذا العالم شأنها شأن الأفراد، فهي في مشاعرها وأفكارها وحماسها، وبذلِها الجهد في الحفاظ على وجودها، تُشْبه البذرة التي تُبذر في التراب وتَعتمِد على القوة الإنباتية للتربة، وتستمدُّ عناصر قوتها من الهواء والشمس والماء، فتأخذ طريقها نحو التبرعم ثم تصبح شتلة فسنبلةً، وحينما يحين موعدها تبدأ بالاهتزاز، بسرعة أحيانًا، وبهدوء أحيانًا، ثم تنحني، ثم تعود مرة أخرى إلى التراب الذي شهِدت فيه الوجود، لترمي بنفسها في أحضانه.. ولا تختلف عن هذا أقدارُ بعض الأنظمة المعروفة، وكذلك أفكارهم وممثلو فلسفاتهم، فأصواتهم مدوية في ربيع حياتهم، وفي مراحل شبابهم يُطلقون البسماتِ ويقدِّمون الورود لمن حواليهم،

وفي مراحل نُضجِهم يبدؤون بالذُّبول ويصفَرُّون في خريفهم، فمنهم من يطول عمره ومنهم مَن يَقْصُرُ على حسب استخدامهم لمقوماتهم الداخلية، ويسيرون هكذا نحو مصيرهم المحتوم.

وعندما يأتي يومٌ يَحِلّ فيه الإدبار محلَّ الإقبال؛ إذا بالأنشطة الحياتية تتوقّف، ويتذبذب النبضُ، فتشحب الألوانُ مثل أوراق الخريف، وتسكن المشاعر الجياشة، وتسري ألحانُ الموت في كل الأطراف. وفي مثل هذه الحالات قد نعزو السببَ في هذه الحالة إلى ضعف قوة الطرد المركزي، وأحيانًا نعزوها إلى عدم ارتباط الممثلين لها بفكرٍ سامٍ، وأحيانًا إلى عدم تمسّكهم بالهدف على وجهٍ تامّ، أو إلى غلبة المطامع الدنيوية على الأرواح. ولكن من يدري، فقد يكون السبب الحقيقي واحدًا من هذه الأمور أو جميعها معًا، وقد يكون السبب هو مشيئة "القدرة القاهرة" التي تفوق كل الأسباب.. وأيًّا مَا كان السبب، فما لم يتوجه الإنسان بقلبه إلى الباب الذي ينبغي له التوجه إليه، وما لم يَبذُل الجهودَ اللازمة على الوجه اللائق، وما لم يَجِدَّ كلَّ الجِدِّ ويَسْعَ جاهدًا إلى التعمق الفكري الدائم من أجل الوصول إلى بلوغ الكمال، بل وما لم يكن عازمًا في كل حين على سبر أعماقٍ جديدة، فسيأتي عليه يومٌ يَبْهَتُ فيه لونُه ويَشحب، ثم يَصفرُّ ويَذبُل، بل سيفسد ويضمحل ويتلاشى تحت أنقاض نفسه.

أجل، ينبغي أن ترنو العيونُ نحو الذرى، وأن ترفرف الأجنحة دائمًا للتحليق في مجالٍ أعلى، وأن تتبع الهممُ طريقًا يُشْبه طريق "أُولِي العزم"؛ حتى تبلغ القِممَ الشواهق وتتجول في أعاليها، وإلا فالتوقّف والتفكُّك والتلاشي سيكون قَدَرها المحتوم.

إن القرآن الكريم يخاطب تلك الجماعة النورانية الفائقة في الفضيلة، والتي يمكن اعتبارها من آثاره المعجزة، قائلاً: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾(الحديد:١٦)، ويدعوهم بهذا إلى ما حاولنا الإحاطةَ به من "الانبعاث الجديد"، وينبغي للمؤمن أن يلبي هذه الدعوة، ويتدفق دائمًا بالشوق والحماس نحو التسامي والتعمق حتى يحافظ على حيويته، عليه أن يطمحَ نحو الأعالي باسم فكره السامي، وعليه أن

ينبغي أن ترنو العيونُ نحو الذرى، وأن ترفرف الأجنحة دائمًا للتحليق في مجالٍ أعلى، وأن تتبع الهممُ طريقًا يُشْبه طريق أُولي العزم؛ حتى تبلغ القِممَ الشواهق وتتجول في أعاليها، وإلا فالتوقّف والتفكُّك سيكون قَدَرها المحتوم.

يكونَ حريصًا على الكمال حتى يَلقى الحفظ والرعاية فلا يتهدم، ويحافظَ على نضارته ما دام على قيد الحياة.

لن يفتُر عزمه على الانبعاث أبدًا، ولن يخرّ أمام ضربات الدهر القاتلةِ مَن يستطيع الحفاظ على نضارته وطراوته، ومِثل هذا الإنسان مهما كان عصره الذي يعيش فيه، سيحيا الإسلامَ بنداوته التي كان عليها أولَ يوم نزل فيه من السماء، وستَطرُف عيناه دائمًا بمشاعر الإحسان، ومهما تجوَّل في الشواهق والذرى فلن تكون لتساميه نهاية أو لمنزله آخر، بل لو وصل إلى مقامات سامية مذهلة وبلغ مستوى الملائكة المقربين من الله، فرأسه سيكون مُطأطئًا بينما عيناه سترنو نحو ما وراء الآفاق، وسيفتح جناحيه دائمًا عازمًا وجاهدًا على التحليق في الأعالي، وإذ يفعل ذلك يقدِّم لأهل الأرض نماذج متنوعة من أعراف أهل السماء.

إن رجال العزم والإرادة هؤلاء، يعرفون طرائق الحفاظ على الحيوية والنشاط طوال أعمارهم، في حين يتهرء المغلوبون أمام طبائعهم ومطالبِهم البدنية ويتلاشون رغم حرصهم الشديد على الحياة والتمتع بملذاتها. رجال العزم والإرادة تصدُر منهم تصرّفاتٌ متنوعة من نماذج الخلود؛ يقرؤون الأشياء والأحداث ويفسرونها مثل ما كان الأنبياء يرونها ويقوّمونها، ويتنقلون من شاهق إلى آخَرَ دون أن تَعُوقهم جاذبية الأرض أو تُعرْقِلهم موانع الاحتكاك، إنهم يسيرون إلى الله مثل ما كان يسير إليه السلف الأوائل دون أن تكون لهم مطامع أو مساومات، لا يَشبَعون من نشوة الإيمان ولا من طعم "معرفة الله" ولا من لذةِ محبة الله، حاضِرُهم مشعٌّ بالأنوار، وطالعهم براق مشرق، وعاقبتهم سعيدة. إذا شاهدوا أحدًا من الواصلين إليه تعالى أو سمعوه زادهم ذلك حماسًا وشوقًا، وإذا رأوا


hiragate.com

المتوقفين المتعثرين في الطريق زادهم ذلك توجهًا بقلوبهم إلى الله، وكلما شاهدوا فيما حواليهم تعساء، فاقدي الإحساس والحماس، صمَّ الآذان تجاه الأوامر الإلهية التشريعية لا يستطيعون قراءة الأوامر التكوينة؛ ازدادوا توجّهًا والتفاتًا إلى الباري ﷻ.

إن الذين لا يَعتبرون كل يوم بدايةً جديدة لانبعاث جديد، ولا يقرؤون الكون ولا يقَيّمونه من خلال وضعه تحت مجهر العصر الذي يعيشونه، ولا يُعيدون التعمق في قراءة ذواتهم كل يوم وكأنهم يكتشفون عالَمًا جديدًا، ولا يستطيعون أن ينظروا إلى كل حقبة زمنية نظرةً أعمق وأوسع تتناسب مع ثلاثية "الله-الكون-الإنسان"؛ أولئك يُحتِّم عليهم قدرُهم أن يعيشوا شيخوخة في مشاعرهم وأحاسيسهم، ويَفقِدوا نشاطهم ويذبلوا، ويَخمَدَ عشقُهم وتذوب أشواقُهم ويَفسُدَ قوامُهم.. وربما ينخدع هؤلاء فيظنون أن نفوسهم لا تزال غضة طرية في أوج نشاطها، لكن الواقع أنهم على مشارف مرحلةِ الانقراض، شَعَروا بذلك أم لم يَشعُروا.. وعليه فإنَّ فقدهم عزمَ الارتقاء والتسامي في دواخلهم سترتب عليه مواجهة مصير الانتهاء والاندثار، والأمَرّ من ذلك أن هؤلاء لا يُحسّون بأنهم قد فَقَدُوا مسار الارتفاع، وأنهم في طريقهم إلى الهبوط الاضطراري، وأنهم سيسقطون في إحدى المهاوي، حفظنا الله من ذلك، آمين.

إن مثل هذا الوضع المخزي مثلما ينطبق على الأفراد، ينطبق بالكامل على المجتمعات أيضًا. فالمجتمعات شأنها شأن الأفراد؛ تُولَدُ على هيئة رُشَيم فتنمو ثم تنضج، بل تصل إلى مستوى يخيَّل للناظر إليها وكأنها ستبقى إلى الأبد، وتصبح محطَّ أنظار الجميع، فإذا لم يتأتَّ الحفاظ على المقومات الحيوية التي كانت في بدايتها وبدأت مرحلة الابتعاد عن اللب والجوهر، ولم يمكن تفعيل عملية التجدد مع الحفاظ على الذاتية؛ فإن كل شيء سينقلب رأسًا على عقب وسيلقى دمارًا في دمار، ولن يبقى هنالك لونٌ ولا نقشٌ، وستنطفئ جذوة المشاعر والأحاسيس، وتدوّي هبَّات الخريف لتُذبِل الأوراقَ النضرة، ومع هبوب أول عاصفة قوية ينهار كلُّ شيء. وعلى العكس من ذلك، إذا كان مثل هذا المجتمع واعيًا بموقعه، صامدًا في موقفه، محافظًا على علاقته مع مقوماته الحيوية، متجددًا باستمرار، وبتعبير آخر؛ إذا كان يستطيع أن يَحُول -في الوقت المناسب- دون الانحلالات المقدرة من خلالِ صيانةِ ما اهترأ وترميم ما تصدّعَ وإصلاحِ ما انكسرَ؛ فقد يستطيع أن يُطيل عمره بمنحة ربانية، ويقضيَ المدة التي يعيش فيها في نشاط ونشوة شبابية.

والواقع أن الإسلام قد قدَّم لمعتنقيه روحًا أندى من كل نَدِيٍّ، وبهجةَ حياةٍ ذات نشوة عميقة، يصعب معها أن يتعرض الواعون بهذه الروح والمعتمِدون على هذه النشوة للسقوط والانهيار. إن الإيمان للمؤمن مصدرُ قوّةٍ إلهيّة تفوق كل القوى، والإسلام آخر محطة للتسامي الإنساني، وأما رضا الحق سبحانه فهو هدية غالية جدًّا في مقابل هذه البهجة التي لا تنطفئ، وهذه الحيويةِ التي لا يَبهت رونقُها. وإذا كان المؤمن مجهَّزًا بهذه العُدّة والدعائم، فبعناية الله يستحيلُ أن يكون ضحيةً لمفاجآت غير محسوبة.

لقد كان أجدادنا بهذه النشوة ومشاعر السعادة في منتهى الحيوية والنشاط، وكانوا في حراك دؤوب في سبيل الوصول إلى الكمال.. كانوا راسخي الأقدام في مواقفهم، بعيدين عن ترف التغيُّر والتبدل، وكانوا من حيث حياتهم القلبية والروحية يعيشون على الدوام انبعاثات جديدة، يَشعرون كلَّ يوم بإيمانهم من أعماق قلوبهم، بفضل ما كانوا يتمتعون به من إحساس جديد وحدس جديد واكتشاف جديد، فيَصلون بها إلى تركيبات وتحليلات جديدة.. وكانوا يعتمدون على توفيق الله وعنايته في سبيل إنشاء إيمانهم واعتقادِهم من جديد، وكان ذلك يتجلى في نشاطهم على حسب معرفتهم بالله.. وكانوا يذكرون الله فتَوْجَلُ قلوبهم، ويتعمقون في معنى ومحتوى وجوهرِ الأوامر التكوينية والتشريعية، وبذلك كانوا يحلّقون دائمًا في الأعالي.

هكذا كانوا، ونحن الآن على ما نحن عليه، وإن لم تكن إفاقتنا من رقدتنا منوطةً بصوت الصُّورِ، فقد يأتي يوم ننبعث فيه من جديد. ■

---

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية تحت عنوان: Eskimeme veya Yenilenme Cehdi، العدد: ٣١٤ (مارس ٢٠٠٥).
الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

أ.د. عرفان يلماز*

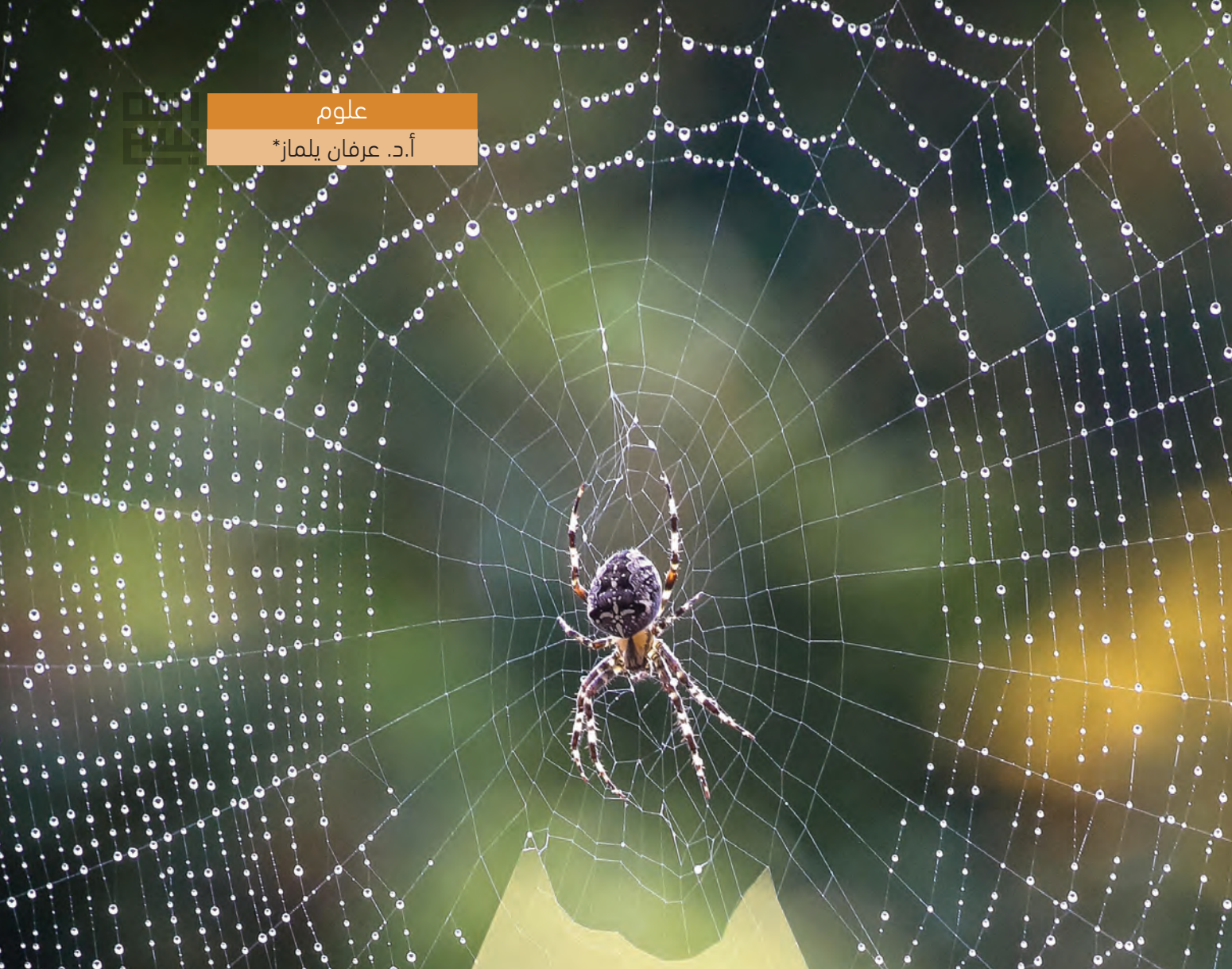

# العنكبوت
## قصة عجيبة

مرحبًا عزيزي الإنسان.. أنا العنكبوت.. قبل كل شيء أشكرك على هذه الفرصة التي منحتني إياها لأصحح بها بعض الأحكام المسبقة تجاهي، وبعض الأفكار الخاطئة التي ألصقتموها بي أنتم البشر.. سمعتُ من بعض زميلاتي الحيوانات، أن معظمكم يخاف مني، وأنكم اخترعتم اسم "رهاب العناكب" أو "فوبيا العناكب" للمصابين بمرض الخوف مني. ولكن لماذا كل هذا الخوف؟! لو حققتم في الأمر قليلاً لرأيتم طبيعتي الرقيقة المسالمة التي لا يصدر عنها إلا الجميل!

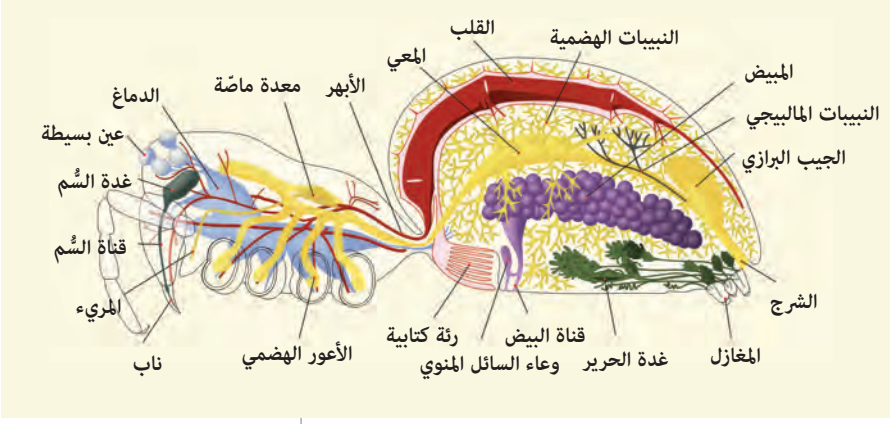


التشريح الداخلي للعنكبوت

أصطاد الحشرات للقيام بدوري الذي كُلِّفتُ به في تنظيف الطبيعة، والإسهام في توازن البيئة التي تعيشون بين أحضانها أنتم البشر. ثم يكفيني فخرًا أن أحد أجدادي كُلِّف من قِبل رب الكائنات، بحماية مفخرة الإنسانية محمد ﷺ عندما أوى إلى غار ثور إبان هجرته إلى المدينة المنورة، فنسج على الغار نسيجه الذي منع المشركين من الدخول إليه. فارحمونا أيها البشر تكريمًا لهذه القصة على الأقل، ولا تقتلونا مباشرة عندما ترونا!

إن معظمكم يعدُّني من فصيلة الحشرات، ولكن الحقيقة ليست كذلك، فنحن العناكب نتميز عن الحشرات بأمور عدة، مثل عدد الأرجل وأجزاء الجسم؛ إذ وُهبتْ الحشرات ستة أرجل، بينما وُهبنا نحن ثمانية، فضلاً عن أن جسم الحشرات يتكون من ثلاثة أجزاء أساسية، بينما يتكون جسمنا نحن من جزأين أساسيين هما الرأس والصدر. وكذلك شكل عيوننا وعددها يختلف عما عند الحشرات. ثم إن معظم الحشرات تتمتع بعينين كبيرتين تشبه الخلية، بينما نحن العناكب لدينا ثمانية عيون صغيرة وبسيطة التركيب. وأنا على يقينٍ عزيزي الإنسان، أنه عندما ترون الزخارف والنقوش المبصومة على أعضاء جسمي، وتشاهدون الهندسة الإستراتيجية وفن التخطيط عند بناء الفخّ بأنسجتي الحريرية، لا تتمالكون إلا وأنْ تقفوا مشدوهين مبهورين.

وُهبنا نحن العناكب القدرةَ على العيش في مختلف الظروف المناخية ما عدا القارة القطبية الجنوبية؛ إذ يمكنكم أن تروننا في رمل الصحراء، وفي صخور الجبال، وفي الغابات المطيرة، وغيرها من المناطق على الكرة الأرضية. وإنْ سألتني عن طريقة انتشارنا في هذا المدى من الأرض، أقول إنها الخيوط التي نستخدمها في بناء بيوتنا؛ حيث نجعلها مظلة لنطير بها مع الرياح إلى أماكن بعيدة جدًّا لا نستطيع تحديدها حتى نحن.

ولعل الميزة الكبرى التي جعلتنا نُذكر في القرآن الكريم، هي غددنا الحريرية الكامنة في جسمنا الصغير للغاية، والتي تعمل كأضخم المصانع لديكم، لإنتاج خيوط حريرية مختلفة الجودة والنوع. علمًا بأن إفراز المادة الحريرية هذه، يتم من خلال فتحات مخروطية الشكل -تشبه الثدي- في الجهة السفلى من البطن، لنستخدمها في أغراض كثيرة ومتنوعة.

لقد وُهب معظمنا ما لا يقلّ عن نوعين من الغدد الحريرية المختلفة الشكل وطريقة الإفراز. ولا تستغرب عزيزي الإنسان إذا قلت لك إننا نستخدم الخيوط التي تنتجها هذه الغدد بشكل يتوافق مع الخاصيَّة الكيميائية للخيط؛ أي نستخدم الخيط في البيئة التي تتناسب معه، لأن مرونة كل الخيوط وصلابتها وثخونتها ومدى التصاقها يختلف من واحد لآخر، فنقوم باستخدام بعض الخيوط -مثلاً- في صناعة الشباك التي نصطاد بها الفرائس، وننشر بعضها الآخر داخل بيوتنا، ونستخدم الأخرى في حماية بيوضنا، أو في بناء بيتٍ نرعى فيه صغارنا.

معظمكم يعرف خيط العنكبوت، أو سمع به على الأقل، ولكن هل تعرفون المراحل العملية البيوكيميائية التي يمرّ بها هذا الخيط؟ وكأني أسمع جوابك"لا". إذن، ركِّزْ معي جيدًا؛ إن خيطنا الأرقّ من الجزء في الألف من أجزاء الملّليمتر (كل ١٤٣ خيطًا يعادل ملليمترًا واحدًا)، أقوى متانة بخمسة أضعاف من سلكٍ فولاذي معدني بنفس السمك، ومن شدة مرونته فإنه يتمدد إلى

hiragate.com

أربعةِ أضعافِ طوله قبل الانقطاع، ثم إنه خفيف للغاية، حيث يزن الخيط الواحد الذي يلفّ الكرة الأرضية -على سبيل الافتراض- ٣٢٠ غرامًا فقط.

إن الخيوط الحريرية التي أنتجها في مصنعي، هي أقوى متانة من الألياف الاصطناعية أو الطبيعية، وهذه الخيوط تشبه الخيوط الاصطناعية التي تصنعونها أنتم البشر في مصانعكم تمامًا، علمًا بأن البروتين أو الكيراتين الذي نستخدمه في إنتاج الحرير؛ هي مادة موجودة بغزارةٍ في الأظافر والشعر لديكم، وفي شعر الطيور، وفي قرون الثدييات، وحراشف الثعابين. وعليه فإن كثيرًا من الحيوانات تستخدم الأحماض الأمينية، ولكن ربنا العليم الذي أوجد كل شيء من اللاشيء، وضع في غددي نظامًا يحوّل هذا البروتين إلى حرير غاية في الإبداع والإتقان.

إن مادة الحرير السائلة التي تُفرَز في جسمي كحساء غني بالبروتين، تجري في قناة الغدد بسرعة هائلة لتُضَخَّ إلى الخارج بقوة، ولكن قبل خروجها وتَحوُّلها إلى خيوط، تقوم الخلايا الجدارية لقناة الغدة، بسحْبِ ماء هذه المادة بسرعة خارقة، وفي نفس الوقت تقوم خلايا القنوات الأخرى بإنتاج ذرات الهيدروجين فتحوّل هذا الماء إلى حمض، وعندما تلتقي البروتينات الكثيفة بالحمض، ترتبط ببعضها على شكل جسور وتتحول بعد ذلك إلى خيوط حريرية. وبالتالي فالتفاعلات البيوكيميائية التي تحدث في الوحدات الفرعية أثناء هذه العملية، تقوم من خلال طرق مختلفة، بإنتاج خيوط حريرية أخرى مختلفة البنية والنقوش.

لقد وهبني خالقي ست غرفٍ مختلفة لصناعة الخيوط؛ فأوجد في كل غرفة موادًّا كيميائية تختلف بتركيبها ومزيجها عن مواد الغرف الأخرى، وقد تم مزج هذه المواد بشكلٍ يتوافق مع فتحة الأنبوبة التي ستخرج منها، وبطريقةٍ تتماشى مع بنية المضخّات التي ستُلقى منها هذه المواد، ليَنتُج بعد ذلك خيوط مختلفة الميزات والخصائص؛ أيْ بينما تكون الخيوط التي أستخدمها أثناء الصيد لزجة، فإن الخيوط التي أمشي عليها حاملةً الفريسة أثناء عودتي إلى بيتي، تكون أقوى متانة وأكثر مرونة من خيوط الصيد. ثم إن الخيوط التي أَلفُّ بها فريستي، تكون على شكل شريط وتتصلَّب كلما تحرّكت، كما أن خيوطي التي تحمي أكياس بيضي تتميز بالمضادات الحيوية ضد الميكروبات، وخيوطي التي أستخدمها للصعود والنزول تتميز باللزوجة، كما أن خيوطي الأساسية التي أستخدمها عند تأسيس بيتي تكون أكثر ثخانة من التي أستخدمها كوصْلات فيما بين الخيوط الأساسية. ثم إني أملك موهبة توجيه هذه الخيوط بأرجلي الناعمة ولصقها في مكانها المناسب، فضلاً عن تصليح بعض الخيوط بأمشاط أقدامي أيضًا. ولا بد أن أذكِّرك عزيزي الإنسان أن خيوطي هذه مكسوَّة بمادة سائلة تمنعها من الانقطاع والتشقق عند التمطط والانشداد.

عمل فني حقيقي، وتخطيط هندسي مذهل أليس كذلك؟ ولكن يجب أن تعلم عزيزي الإنسان أني لا أعرف شيئًا عما أقوم به من هذه الأعمال، إنما هو سَوْقٌ إلهي وتوجيه رباني ليس إلا. لذا، فلا يسعني إلا أن أحمد خالقي على كل هذه النعم، وأشكره أن جعلني بجسمي الصغير الضعيف هذا، أداة تعكس قدرته وتكشف عن أسرار حكمته جل وعلا. ثم ما رأيك إذا قلت لك إن عالَم الطب أدرك حديثًا خصائص خيوط بعضنا، فراح يستخدمها في العمليات الجراحية، ولا سيما في عملية الأوتار الحساسة والمفاصل! فيا سبحان الله! بعد ما كنتُ مخلوقًا يثير الهلع والخوف في نفوس معظمكم، أصبحتُ الآن نجمًا عالميًّا يحوم حوله المختصون والعلماء من البشر ويريدون التعرّف عليه عن قُرب!

**إن الخيوط التي يلفّ بها العنكبوت فريسته، تكون على شكل شريط وتتصلَّب أكثر فأكثر كلما تتحرّك.**

hiragate.com

ينشط "العنكبوت آكل العصافير" في ظلام الليل، يبلغ طوله ١٠ سم، ومؤلم للغاية إذا لَدَغ، يقتات على الضفادع الصغيرة، والسحليات، وبعض الطيور.

أتغذى على المفصليات المختلفة ولا سيما الحشرات، علمًا بأن طريقتي في الافتراس تختلف عن الكائنات الأخرى؛ فالبعض من بنات جنسي ينسج الخيوط على شكل شباك تلتقط بواسطتها فريستها، والبعض يستخدم لفائف خيوطه لشلّ حركة ضحيته، والآخر بحاسَّتَيه اللمس والبصر المتطورتين يطارد الفريسة بنشاط حتى يلتقطها، والبعض الآخر يحقن فريسته بالسّم ويقتلها بشكل سريع.. يبدو الأمر مرعبًا أليس كذلك؟ ولكن تقوم بكل ذلك من أجل البقاء في الحياة أولاً، وثانيًا -وهو الأهم- من أجل تأدية دورها في التوازن البيئي، وإبقاء مكونات البيئة وعناصرها الطبيعية على حالها الطبيعي، وإلا أَكلتْ هذه الحشرات الأخضر واليابس في الأرض التي تعيشون عليها.

يوجد لنا حوالي ٣٥ ألف نوع، ٥٠٠ نوع منها تشكل عليك خطرًا أيها الإنسان. وإنْ كان لدى جميعنا غدد سامة، إلا أن هذا السّم عند معظمنا لا يؤثر فيكم أبدًا، إنما يُحدِث حكة بسيطة في جلدكم على الأغلب. ثم إني لست مخلوقًا مهاجمًا ولا ألدغ دون سبب، حتى إن "الأرملة السوداء" (Latrodectus mactans) السامّة للغاية بين أنواعنا، نادرًا ما يكون سمّها قاتلاً للبشر. إن الأرملة السوداء تقوم بنسج شباك كبيرة، وتستطيع أن تلفّ ٢٥٠-٧٥٠ بيضة بالخيوط الحريرية لتخبّأها وتحفظها من الأخطار. يبلغ طول الإناث من هذا النوع ٣ سم، أما الذكور فطولها حوالي نصف حجم الإناث. علمًا بأن الإناث تقوم بأكل ذكورها مباشرة إثر حصولها على المني منها.

وبالتالي فـ"العنكبوت الذئب" (Tarantula) المنتسب إلى فصيلة العناكب الذئاب، والذي يعيش في أوروبا، ويبلغ طوله ٢,٥ سم، لا ينسج النسيج كبقية أنواعنا، بل يصطاد فريسته جريًا خلفها حتى يمسك بها. ولكن حذار أن تقترب من هذا النوع وتحاول لمسه، لأن سمه قوي ومؤلم للغاية وإنْ كان لا يميت.. وثمة نوع ضخم آخر يعيش في أمريكا الجنوبية تسمونه "العنكبوت آكل العصافير". ولكن هذا النوع ينحدر من فصيلة مختلفة تدعى (Theraphosa). لذلك حجم صدر هذا النوع يبلغ ٩-١٠ سم، والمسافة ما بين سيقانه تتراوح ما بين ٢٥-٣٠ سم. إنه ينشط في ظلام الليل، ويعيش البعض منه في التراب، وبعضه الآخر في الشجر. إنه مؤلم للغاية إذا لَدَغ. ويقتات أحيانًا على الضفادع الصغيرة، والسحليات، وبعض الطيور.

معظمنا يفضل العيش وحيدًا، والقليل منّا يبني بيته جنبًا إلى جنب ويصطاد معًا. ولكلٍّ منّا طريقته الخاصة به في الصيد؛ فالعنكبوت الصياد (Cladomelea Longipes) يصطاد فريسته بطريقة الكوبوي (راعي البقر)، أو بالسنارة رغم ضَعْف نظره؛ حيث ينتج من جسمه خيطًا مغلَّفًا بمادة لاصقة قوية، ثم يرمي هذا الخيط نحو الفريسة، وفي بعض الأحيان يضع على الخيط رائحة تشبه رائحة فريسته كي يجذبها نحوه، وما أن تمسك السنارةُ الفريسةَ يسحبها فورًا ويحقنها بالسم لشلِّ حركتها، ثم يقوم بلفِّها بخيوط حريرية خاصة لإبقاء الفريسة طازجة لفترة طويلة. وأنواع أخرى لا تعدّ ولا تحصى.. منها مَن يعيش في البرّ، ومنها من يعيش في الماء.

ولكن أكتفي بهذا القدر عزيزي الإنسان، حتى لا تملّ مني ولا تتضايق. أتركك الآن لتتأمل قليلاً فيما قصصته لك، وتدرك أن كل مخلوق له دور في هذه الحياة يجب أن يؤديه بحق. ■

---

(*) كاتب وأكاديمي تركي. الترجمة عن التركية: نور الدين صواش.

hiragate.com

نجوان السيد*

# السعادة ثمرة النجاح

وضعت العلوم الحديثة في إدارة الذات وفنون التواصل بعضًا من الأمور ليحظى المرء بالسعادة؛ منها على سبيل المثال، السعي لتحقيق نجاحات يكافئ الإنسان من خلالها ذاته ويشعرها بقيمتها، وعدم اللجوء إلى جلدها في حال فشلها، أو عدم إلقاء اللوم على غيرها، ثم احترام الآخرين وتأسيس علاقات جيدة معهم.

ولكل إنسان أهداف يتمنى تحقيقها في هذه الحياة، لأنه في تحقيقها يرى نجاحه وسعادته، سواء كانت في إطار العمل، أو إطار العلاقات العامة. لذلك على الإنسان أن يرسم خططًا مدروسة تحقق نجاحات له في مجال عمله ومجال أسرته، وإذا حقق نجاحًا، بدأ في التخطيط لنجاح آخر ليزداد سعادة وثقة بنفسه.

## تقدير الذات

يعدُّ تقدير الذات أحد أهم القواعد التي ترتكز عليها العلوم الحديثة في إدارة الذات. وتقدير الذات تعبير يقصد به مدى تقدير الإنسان لذاته، وثقته بنفسه وبهويته الذاتية وبأهدافه. وقد أكد الباحثون أن لتقدير الذات صلة وثيقة بالقدرة على الإنتاج العملي أو الحياتي، حيث يزيد تقدير الذات من القدرة على الإبداع والإنتاجية العالية في مختلف المجالات.

إذن يحتاج النجاح في الحياة إلى تقدير الإنسان لذاته وإيمانه بها، لتسهم بفاعليةٍ في نجاحه. إن أي خلل يحدث في هذه الصورة، يدفعنا لسوء تقدير إمكاناتنا ومستقبلنا وطموحنا، مما يعرقل قدرتنا على تحقيق الأفضل، يقول الرسول الكريم ﷺ: "المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ" (رواه مسلم)؛ وفي الحديث إرساء وترسيخ لمعتقدات إيجابية لرسم صورة المؤمن المقدِّر لذاته والمتمتع بالكفاية الذاتية. فالمؤمن بربه يستمد ثقته بنفسه من إيمانه بالله، ويوجه إيمانه لتحقيق هدف العبودية له، مما يأتي بالشعور بحالة من السعادة والراحة والبهجة والسرور.

## الحرص على النافع من الأمور

يقول الرسول ﷺ: "احرص على ما ينفعك" (رواه مسلم)؛ إنه كلام جامع نافع، يحتوي على سعادة الدنيا والآخرة، والحرص فيه دلالة على شدة بذل الجهد، واستفراغ الطاقة في العمل في إطار يقود إلى تحقيق أهدافه. وإن الأمور النافعة تنقسم إلى أمور دينية، وأمور دنيوية، وكما أن العبد محتاج إلى الدنيوية فإنه محتاج إلى الدينية كذلك. فمدار سعادة الإنسان وتوفيقه على الحرص والاجتهاد، في الأمور النافعة منها. ومتى حرص العبد على الأمور النافعة واجتهد فيها، وسلك أسبابها وطرقها، واستعان بربه في تحصيلها وتكميلها، كان في ذلك كماله وعنوان فلاحه.

## الحكمة والسعادة

الحكمة هي معرفةُ أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة هي إدراك الطريق الذي يوصل إلى السعادة، يقول الله ﷻ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾(البقرة:٢٦٩)؛ ذكر المولى ﷻ "الحكمة" معرَّفة، وفي هذا دلالة على اكتمال المعنى في الكلمة، وقرنت بأولي الألباب وهي أيضًا معرَّفة، وفي اقتران اللفظين معرَّفين دلالة على شرط حدوث الواحد منهما كاملاً ليتحقق الآخر، فكلما زاد العقل زادت الحكمة، وكلما زادت الحكمة ارتفع العقل. ولا تأتي الحكمة إلا بطلب العبد لها، فالله تعالى هو من يؤتي الحكمة، ولكن ذلك بناء على طلب من العبد، حيث قال سبحانه "يؤتي" ولم يقل "يعطي"؛ فالعطاء يكون من المعطي وبرضاه التام ودون طلب من المعطى إليه. أما الإيتاء يكون بطلب من الطرف الآخر، ويكون محدّدًا حسب طلب الطرف الآخر.

فالمعطي يعطي الشيء برضاه ودون أن يطلب منه أحد ذلك. فلفظة "يؤتي" دالة على أن العبد لا يؤتى الحكمة إلا إذا طلبها هو من الله ﷻ بصدق، وأيقن بأنه لا فلاح له إلا بتحصيلها، ولذا قرنت بأن من يؤتاها هم أولو الألباب، لأنهم هم من أدركوا قدرها وطلبوها وسعوا في طريق إحرازها.

في علم التفكير الإبداعي يعرف "الإنسان المبدع" بأنه الذي يرى في الأشياء ما لا يستطيع الآخرون رؤيته. ولو نظرنا في أمر الحكمة نجد أن الإنسان الذي لديه الحكمة يرى الأشياء بطريقة مختلفة؛ حيث يرى الإنسان الحكيم في الابتلاء الخيرَ، لأنه موقن بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، ويرى فيه المنحة من الله العليم الحكيم، لأنه قدَر الله وقضاؤه في خلقه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(هود:١٠٧).

فكلما زادت حكمة الإنسان أدرك أن الله ﷻ هو الخالق وهو أعلم بنفسه ما ينفعها وما يضرها، وأنه ما منع عنه أو ابتلاه إلا لينفعه، فهو سبحانه لطيف بخلقه خبير بعباده.. وبهذا الإيمان تطمئن القلوب، وترتاح النفوس، وتنشرح الصدور لقضاء الله وقدره، فيصل الإنسان بذلك إلى التنعم بالابتلاء، ثم تأتي مرحلة الصبر الجميل والرضا الجميل، ولن يدركهما الإنسان إلا بإدراكه لمقتضى الحكمة. ■

---

(*) كاتبة وباحثة مصرية.

hiragate.com

د. خالد حربي*

# المنهج التجريبي الحديث إلى أين؟

إذا كانت التجربة في التصور العلمي الحديث تزود العلم بالأساس المادي الذي يثبت وجهة نظر الباحث فيما سبق له أن لاحظه من الوقائع والمشاهدات، فإن جابر بن حيان قد فطن إلى هذا المفهوم وطبقه بصورة فعلية، فمن نصوصه يمكن تلمس خطوات السير في طريق البحث العلمي، وهي خطوات تتطابق مع ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمي اليوم.

**جابر بن حيان ونهجه العلمي**

لم يغفل جابر بن حيان دور الملاحظة أو المشاهدة الحسية تمامًا كما في المنهج العلمي الحديث. ففي كتابه "الخواص الكبير" يقول: "ويجب أن تعلم أنّا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأينا فقط دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه بعد أن امتحناه وجربناه، فما صح أوردناه، وما بطل رفضناه، واستخرجناه نحن وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم".

فالملاحظة الحسية هي المصدر الصحيح لتحصيل العلوم والمعارف، وهي أيضًا وسيلة لتقييم آراء الآخرين، فما تثبته فمقبول، وما لم تثبته فمرفوض.

وينصح جابر بضرورة قراءة الكتب والتحصيل النظري قبل إجراء التجارب، ومع اعترافه بأن عملية الاطلاع على ما في الكتب النظرية تقتضي تعبًا وكدًّا، إلا أنها هي الخطوة الأساسية الأولى في البحث إذا أراد الباحث الوصول إلى الحقيقة بعد التجربة. يقول جابر: "اتعب أولاً تعبًا واحدًا واجمع وانظر واعلم، ثم اعمل".

يتضح مما سبق أن جابر بن حيان قد اتبع المنهج العلمي بأدق تفاصيله. وقد أدى به هذا إلى إحراز نتائج مهمة في تقدم علم الكيمياء.

**الرازي ونهجه الطبي**

لقد اهتم أطباء وعلماء المسلمين اهتمامًا بالغًا بالطب السريري، وذلك يرجع إلى اهتمامهم البالغ بالمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية لا سيما الطبية منها.

ويأتي أبو بكر الرازي (٢٥٠-٣١٣هـ/٨٦٤-٩٢٥م) في مقدمة هؤلاء الأطباء الذين استخدموا هذا المنهج، حيث تعد آثاره من الركائز المهمة في تاريخ هذا العلم، ولعل أهم ما فيها هو وضع الرازي للمبادئ الأساسية لعلم السريريات البحتة، وعدم الوقوف عند المبادئ النظرية. فلقد تحرر الرازي من تأثير المذاهب والنظريات، ولم يرض بالتسليم بما تتضمنه إلا بعد إقرار التجربة بذلك. فقد كان اهتمامه الأول منصبًّا على التجربة العملية باعتبارها أضمن الطرق وصولاً إلى الحقيقة العلمية.

ولقد طبق الرازي المنهج التجريبي بمراحله المعروفة؛ الملاحظة والتجربة وفرض الفروض والتحقق منها.

ويمكن الإشارة إلى ذلك بإيجاز فيما يلي: ففي الملاحظة وخاصة ما يسمى اليوم بالملاحظة الوصفية، نجد أن أهم ما يتميز به الرازي هو تدوينه للحالة المرضية، والتي تسمى في الطب الحديث "الحالة السريرية" (Clinical Case)، وهي السّيرة المرضية لشخص معين، والشكوى، ونتائج الفحص، وتطور الأعراض نحو الأحسن أو نحو الأسوأ بسبب ظروف معينة تحيط بذلك الشخص. فإذا أصيب شخص ما بمرض من الأمراض، وأصيب شخص آخر بنفس المرض، وظهرت عليه نفس الأعراض ذاتها، فعندئذ يقرر الرازي بأن لدينا حالتين وليس حالة سريرية واحدة، وذلك لأن لكل مريض منهما ظروفه الصحية والجسمية والنفسية الخاصة به، والتي تؤدي إلى شدة المرض أو نقصه أو الشفاء منه أو الهلاك به.

ومن الأمثلة القوية على استخدام الرازي لأسلوب الملاحظة الوصفية الدقيقة، ذلك الوصف -الذي يعد الأول من نوعه في تاريخ الطب- الذي ميز به بين أعراض مرضَي الجُدَري والحصبة، إذ يقول: "يسبق ظهور الجدري حمى مستمرة تحدث وجعًا في الظهر وأكلانًا في الأنف وقشعريرة أثناء النوم. والأعراض المهمة الدالة عليه، هي وجع في الظهر مع الحمى والألم اللاذع في الجسم كله، واحتقان وألم في الحلق وفي الصدر مصحوب بصعوبة في التنفس، وسعال وقلة راحة، والتهيج والغثيان والقلق أظهرُ في الحصبة منها في الجدري، على حين أن وجع الظهر أشد في الجدري منه في الحصبة.

ولم يترك الرازي صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالمريض، إلا وسجلها في سجل خاص، ليعرف ما إذا كان لها من تأثير في حدوث المرض أم لا. ويتضح هذا بوضوح في الحالات الإكلينيكية التي ذكرها في كتابه "الحاوي". وقد اتفق كل من اطلع على هذا الكتاب، على أن هذه الملاحظات السريرية هي خير دليل على مهارة الرازي ودقة ملاحظاته وغزارة علمه، وقوة منطقه في استخراج

hiragate.com

النتائج من معطيات البحث الإكلينيكي. وهي تتعلق بدراسة سير المرض، والعلاج في كل حالة مع تطور حالة المريض ونتيجة العلاج.

أما التجربة فقد اهتم بها الرازي اهتمامًا بالغًا، فما تثبته التجربة فحق ومقبول، وما لم تثبته فباطل ومرفوض حتى وإن كان قائله من فطاحل العلماء.

ويمكن الوقوف على عدة أنواع من التجارب عند الرازي، إلا أن أهمها هو ما يعرف بالتجربة الموجهة، حيث لم تكن التجربة عند الرازي تجربة اتفاقية كتلك التي وجدناها عند أطباء اليونان، بل كانت تجربة موجهة، ومن أمثلة هذه التجربة أن الرازي حينما أراد أن يتحقق من أثر الفصد كعلاج لمرض السرسام، قسم مرضاه إلى مجموعتين، عالج إحداهما بالفصد، وامتنع عن فصد الأخرى، ثم راقب الأثر والنتيجة في كل أفراد المجموعة حتى انتهى إلى حكم في قيمة العلاج.

ومن ذلك يتبين أن للرازي فضل السبق في تدشين ما يعرف حاليًا بمهنج المجموعات المرضية والعلاجية. وهناك مثال من كتابه "المرشد" يدل على فهم الرازي لما يجب أن تكون عليه التجارب من ضرورة وجود موجهات أو ضوابط، إذ يقول: "سافر رجل نبيل في الصيف أيامًا، ورجع وبه حمى مطبقة قوية الحرارة جدًّا، فألزمنيه بعض الملوك، فلما كان في اليوم الرابع قلق جدًّا واشتدت حمرة لونه، وأقبل بغير أشكاله ويضرب بنفسه الأرض، وصار الهواء الذي يخرج بالتنفس من الحرارة إلى أمر عظيم جدًّا. وحدث عليه بعد هنيهة خفقان، وكنت أقدر أنه سيرعف، فلما بقي على تلك الحال ساعتين وأكثر، أمرته أن يحك داخل أنفه طمعًا في انفجار الدم. فلما لم يكن ذلك، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد، سقيته مقدار عشرة أرطال من الماء الصادق البرد جدًّا، فخسر مكانه وانطفأ ما به، ودر بوله، ولانت حماه. ففي هذه الحالة -وهي ضربة شمس- كان ارتفاع درجة الحرارة بمثابة موجه للرازي في تقديم العلاج المناسب، والذي تمثل في الماء البارد الصادق البرد جدًّا.

وهذا النوع من التجارب لا يخرج عن ما يسمى حديثًا بـ"التجربة الضابطة" (Controlled experiment) التي

**إن عملية الاطلاع على ما في الكتب النظرية تقتضي تعبًا وكدًّا، إلا أنها هي الخطوة الأساسية الأولى في البحث إذا أراد الباحث الوصول إلى الحقيقة بعد التجربة.**

تعتبر من أهم المبادئ في التجارب البيولوجية، حيث تتضمن مجموعتين متشابهتين أو أكثر -تتماثلان من جميع الوجوه باستثناء ذلك التنوع الكامن في جميع الكائنات البيولوجية- أحدهما هي مجموعة الاختبار للتجربة التي يراد معرفة تأثيرها. وتُختار هذه المجموعة عادة بطريقة عشوائية. وتتوخى الطريقة التجريبية التقليدية جعل المجموعات متشابهة من جميع الوجوه فيما عدا العامل المتغير.

أما الفروض فقد لعبت دورًا بارزًا في منهج الرازي العلمي، من حيث إن الفرض هو أهم وسيلة ذهنية لدى الباحث، ووظيفته الرئيسة هي أنه يوحي بتجارب أو ملاحظات جديدة. والواقع أن أغلب التجارب وكثيرًا من المشاهدات تجرى خصيصًا لاختبار الفروض وهو ما فعله الرازي. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

قال الرازي: كان عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة في ستة أيام، ومرة غبًّا (تأتي يومًا وتغيب يومًا) ومرة ربعًا (تأتي كل أربعة أيام مثل الملاريا)، ومرة كل يوم، ويتقدمها نافض يسير. وكان يبول مرات كثيرة، فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعًا، وإما أن يكون به خراج في كلاه، فلم يلبث إلا مديدة حتى بال مدة، فأعلمته أنه لا تعاوده هذه الحميات، وكان كذلك وإنما صدّني في أول الأمر عن أن أبتّ القول بأن به خراجًا في كلاه أنه كان يحم قبل ذلك حمى غُب وحميات أُخر، فكان الظن بأن تلك الحمى المختلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعًا موضع قوي. ولم يشْكُ إليّ ابتداء ثقلاً في قَطنة (ما بين الفخذين)، لكن بعد أن بال مدة قلت له: هل كنت تجد ذلك؟ قال نعم. لقد كان يشكو ذلك وأن المدة نقيت سريعًا، فدل على صغر الخراج. فأمّا غيري من الأطباء،

hiragate.com

فإنهم كانوا بعد أن بال أيضًا لا يعلمون حالته ألبتة.

يتضح من النص، أن الرازي في محاولة تشخيصه للمرض قد افترض فرضين بناء على ما رآه من مشاهدات: "فحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعًا، وإما أن يكون به خراج في كلاه". وقد شخص الرازي المرض أولاً على أنه ملاريا "تريد أن تنقلب ربعًا" على افتراض أنه كان يشخّص ويعالج في بلد تكثر فيه القشعريرة، وهذا هو الفرض الأول، أما الفرض الثاني فقد تمثل في وجود خُراج في كلى المريض. ولما لاحظ الرازي خروج مدة مع بول المريض، كانت هذه الملاحظة بمثابة تأييد للفرض الثاني، فاستبقاه واستبعد الفرض الأول وشخص المرض على أنه التهاب في الكُليتين، وقد قام بالعلاج بناء على هذا التشخيص، فشفي المريض.

وهنا يذكرنا الرازي بقاعدة هامة في المنهج العلمي الحديث، وهي ما تُعرف بـ"الاستبعاد المنظم" (Systematic Elimation)، فعند البحث عن سبب مرض -مثلاً- تُستبعد مختلف الأسباب المحتملة إلى أن يتبقى في النهاية مجال ضيق يمكن التركيز عليه، وهذا ما فعله الرازي بمنتهى الوضوح والدقة.

إن الرازي أشار إلى هذه الخطوات في كثير من كتبه، لا سيما "الحاوي" الذي يحوي ما يقرب من مائة حالة سريرية (إكلينيكية)، اعتمد عليها الباحثون للتقرير بأن الرازي قد استخدم المنهج التجريبي، وأرسى قواعد الطب السريري، وقد انعكس أثر ذلك على الإنجازات التي قدمها.

**ابن زهر ومنهجه التجريبي**

اهتم أبو مروان بن زُهر (٥٥٧هـ/١١٦١م) اهتمامًا بالغًا بالمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية وخاصة الطبية منها، فما تثبته التجربة فحق ويؤخذ به، وما لم تثبته التجربة فباطل حتى وإن كان قائله من فطاحل الأطباء كابقراط وجالينوس والرازي، أولئك الذين اطلع ابن زُهر على أعمالهم الطبية، ودرسها واستشهد بآرائهم كثيرًا، إلا أن ذلك لم يأت إلا بعد نقد وتمحيص، وإقرار التجربة بذلك "فمدار أمرنا على التجربة" كما يقول.

وإذا كان ابن زُهر قد عوّل على الاحتكام إلى التجربة كمحك يفصل به بين الحق والباطل فيما يقبله من آراء، فقد ساعده هذا كثيرًا في التشخيص السليم للأمراض باعتباره الأساس الذي يقرر على ضوئه العلاج المفيد. فلقد أثبتت التجربة فيما مضى أن هذا المرض يسبقه كذا وكذا من الأعراض، فإذا لاحظ الطبيب هذه الأعراض، فسرعان ما يقرر المرض الذي يشكو منه المريض بناء على سابق خبرته من كثرة المشاهدات والتجارب، التي يقرر على ضوئها العلاج المناسب.

لقد اهتم ابن زُهر بالملاحظة الوصفية، إحدى مراحل المنهج العلمي الحديث، فكان ينصح بضرورة ملاحظة الحالة جيدًا حتى يسهل على الطبيب الوصول إلى تشخيص سليم لها. ولقد سجل ابن زُهر في مؤلفاته كثيرًا من ملاحظاته لحالات مرضية مختلفة الأعراض، وتابعها حتى وصل إلى تشخيصها تشخيصًا سليمًا بعد معرفته بأسبابها.

كان ابن زهر في وقت مروره إلى دار أمير المؤمنين بإشبيلية، يجد في طريقه مريضًا به مرض في الأمعاء وقد كبر جوفه واصفر لونه، فكان أبدًا يشكو إليه حاله ويسأله النظر في أمره، فلما كان في بعض الأيام سأله مثل ذلك، فوقف أبو مروان بن زهر عنده، وفحصه، فوجد عند رأسه إبريقًا عتيقًا يشرب منه الماء، فقال: "اكسر هذا الإبريق فإنه سبب مرضك"، فقال: لا بالله يا سيدي فإنه ما لي غيره، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره، فظهر منه ضفدع وقد كبر مما له فيه من الزمن، فقال له ابن زهر: "خلصت يا هذا من المرض، انظر ما كنت تشرب" وبرئ الرجل بعد ذلك.

يتبين من كل ما سبق، أن المنهج التجريبي الحديث بمراحله المتبعة حاليًا -وهي الملاحظة وفرض الفروض والتحقق من الفروض بالتجربة- دشنه علماء الحضارة الإسلامية، وطبقوه في أبحاثهم العلمية، فتوصلوا إلى الاكتشافات والإنجازات العلمية التي تحسب لهم حتى اليوم. ■

---

(*) أكاديمي وباحث مصري.

hiragate.com

مجيد الحداد*

# أطياف الفكر الإنساني فوق عتمات الهواجس

١

العقل نور والفكر مصباحه الذي ينير عتمات الوجود، وهو فيض من النور الإلهي الأعظم الذي أنار صفحة الكون جمالاً وبهاء وجلالاً، يبصر به الإنسان الخطى وتتضح له مسالك الدروب، ويستيقظ به من سكرة الخيالات المتخمة بالشك والحيرة، كما يرتقي به من المطالب البهيمية التي لطالما حَجَرت على العقول وأذهبت لبها، وأتعبت الأجساد باستفزازاتها المستمرة للرغبات وتسعيرها المفرط للغرائز.

عقل الإنسان أعجوبة الزمان هبة ربانية فريدة، أودعها البارئ جل في عليائه في هذا الكيان الإنساني، وجعله يعمل وفق نواميس فُصِّلت على مقاسه ضمن حدود وقوالب محكمة، إذا تجاوزها أفل نجمه وقلّ لمعانه وفسد مطلبه وأفلست وظيفته.. وأيّ وظيفة للعقل سوى تبصر الأنوار الإلهية التي تشع في أرجاء الكون ما علمنا منه وما لم نعلمه، وفقه دلائل صنع الله المعجزة الدالة على تفرده بالخلق، ووحدانيته في الذات والصفات.

**ما هي وظيفة العقل؟**

إن وظيفة العقل الفكر، ووظيفة الوحي الإلهي بجوار العقل إحياء وإعلاء وظيفته، وعليه فإن الحياة بلا فكر جوفاء عمياء، بل وجود الإنسان بلا فكر وتبصر وجود عدمي. إن الفكر هو الذي يعطي للوجود المعنى ويصحو في الإنسان فيبقيه متبصرًا فطنًا، والوحي يرسم معالم الوجود وينير الإدراك ويضخ فيه الحياة، بل هو الروح التي تسري في الفكر فتزهر الحياة.

هكذا هو الإنسان كائن مفكر -قبل أن يكون شيئًا آخر- يجاور كائنات أخرى، وما الفكر إلا عمل العقل وترجمان الروح وهواجس وخيالات وتبصرات وخواطر يكونها الإنسان من نظرته للوجود والحياة، وينسجها الوحي وتنظمها الفطرة حتى لا تنفلت أو تنفرط، ولا ينتهي وجود الإنسان حتى تنطفئ الهواجس والخيالات التي تقبع فيه. وتلك الهواجس المستنيرة بنور الحق هي التي تفتح له آفاق الإدراك لمعالم الوجود الذي يحيا فيه، وتحدد له نوع المصير وترسم له التطلعات وتذوقه الأشواق والرغبات الملتزمة.. لذلك كان لا بد أن تحتكم الخواطر وتنضبط الهواجس وتستقيم الخيالات، حتى يلزم هذا الإنسان الرشد في الحياة ولا ينقلب وجوده إلى العبث بله العدم.

لا بد للفكر -إذن- من نبراس يستنير به، ومن معايير تحكمه، ومن قيم تؤطره مهما تنوعت الرؤى واختلفت الهواجس وتشابكت الخيالات. وليس الفكر عمل عبثي غَوْر المورد ومفصول السياق ومنزوع المقصد، يعني ذلك كله أن الفكر صناعة وبرمجة للخواطر والتصورات يثمر سلوكيات واتجاهات في الواقع قد تعلي الإنسان وقد تزري به، وكل الإنجازات والممارسات الإنسانية سواء أكانت رشيدة أو تائهة، أولها فكرة مختمرة في الوجدان، غير أن للرشد أطيافًا كما للتيه عتمات.

**أجود صناعة للفكر**

إن الفكر الرشيد هو ثمرة التفاعل بين الوحي والفطرة النقية والنظر الحديد، وهي أجود صناعة للفكر وأرقى طراز له، لأنه بذلك ينهل من خبر السماء ومن وحي النبوة ومن ندى الإيمان واليقين، ليؤسس النظريات ويحدد الاتجاهات ويصوغ المنطق. وبالمقابل فهو فكر يحتكم للفطرة ويصغي جيدًا لنداءاتها، لأنها الجِبْلِيَّة التي طبع عليها الخلق وطبعت معه جميع أسراره فيها. إنها السجل العتيق واللوح المحفوظ الذي يحتضن كل القيم والحكم والمعاني الإنسانية النبيلة المبثوثة في هذا الخلق، وتبقى في نهاية المطاف، المرجع والملاذ والمحتكم عند اضطراب أمواج الفلسفات وتنوع الاتجاهات وزيغ الأهواء والرغبات.

إن أمواج الفكر السائدة اليوم، وسيول الكلمات المعبرة عن سقم هذا الفكر، وما يحملان من تصورات مائعة، لم تجر الإنسانية حقيقة إلا إلى الاضطراب والقلق والحيرة والشك، فلا مقصد ينجلي ولا مصير يعتلي الأفق، لأن المعاني والأسرار والقيم المبثوثة في سجل الفطرة، والتي من المفروض أن تحكم الفكر وترشده، قلبت موازينها ومجتها الأفهام المعاصرة، وصارت الرغبات الزائفة، والأذواق المجنونة، والانبطاح أمام سلطان الشهوة الجامحة، هو الذي يوجه الفكر ويبني التصورات ويحبك المعاني وينسج الخيالات التي لا روح فيها غير خدمة الجسد.

لا يعكر صفاء المنطق ويطفئ جذوة المجد والعلياء، إلا التوسد على فضلات فكر منحط مغرق في المطالب البهيمية، التي أبت أن تفهم وتتعقل أشواق الروح وتيجانها، واحتساء عصارة حضارة سلبت الألباب وأزاحت عنها رشدها.. هكذا صارت قصة الإنسان أمام جرافات الفضائل ومهلكات الأذواق. وعندما يخبو بريق الأشياء الفارغة من المعنى، والتي لطالما أغرت وفتنت وسعرت الغرائز حتى أنهكت القوى، آنئذ يشع نور فريد يسري في القلوب المشتاقة للرشد والمجد، التي كانت جوفاء محطمة الأركان، فتمتلئ فطنة ونباهة وتثمر رشدًا وتؤدة.. إنها الولادة المنتظرة في زمان ضاعت فيه معاني الإنسانية الأصيلة.

**ألعوبة فوق ظهر الزمان**

تتعطل الأفكار وتفسد الرؤى وتموج الهواجس الحائرة كلما تمرغ الإنسان في الشهوات المهلكة وسكر من شراب الهيام للأشياء الفارغة، وقادته الأشواق المجنونة

hiragate.com

التي قدست الجسد حتى أوصلته إلى الهلاك والإفلاس المعنوي؛ آنئذ يتحطم الكبرياء الإنساني وتغيب كل المعاني الشريفة، فيصير المسكين ألعوبة فوق ظهر الزمان تلتقمه أمواج التيه والضلال، وتلفظه حينًا فلا يقوى بعدها المسكين أن يجثم على ساقه لكثرة الأثقال التي أوجعته وأنهكت قواه، لا مصير يلوح في الأفق ولا هناء يسعد به، ولا أمل يتطلع إليه، وهل بقي له من إفلاس؟

إن عمى البصيرة أنكى وأشد من عمى البصر، لأن العين لا ترى إلا الأشياء وهي جمادات صماء مهما طاش بريقها، ولكن روحها تقبع في الوجدان، والفكر هو الذي يصبغها جمالاً وحسنًا وبهاء وحركة مستمرة، ويعطي كل مبصَرٍ المعنى الذي شرف به، وإذا استقام الوجدان وتناسق مع الميزان الذي يوزن به الإدراك، أخذ كل شيء حيزه الذي يليق به في سماء وأرض هذا الكون البهي.

عندما تنهار منظومة القيم الأصيلة المؤسسة للفكر الرشيد، وتنهد معالم الفضائل، ويستأسد العبث، ويتغول الطيش، يفقد السلوك الآدمي البوصلة وتضيع مقاصد الأعمال وتفسد النوايا.. وعندما يتشرب الوجدان كل هذا تظهر على الوجود كائنات غريبة شكلاً ومضمونًا ومنطقًا، تأبى أن تفهم أو تتعقل أن المجد والشرف والكبرياء والشموخ والاعتزاز الأممي والحضاري عبثًا ينشد إذا لم نحكم نوازعنا، وأشواقنا بالمثل العليا التي تعلمناها من رسالة السماء.

### الضمير المستنير بالوحي

وعندما يلمع بريق الحق لدى العقول المتعطشة للرشد، ويزهو في مخايلها الإيمان، وتتشرب الخواطر كلمات الهدى، وتختلط الهواجس بنور السماء، يصفو المنطق وينجلي الخبل الذي ران على الأذهان، ويصدر الفكر إشراقات وأطيافًا جليلة تضيء حلكة السماء؛ فتترسم معالم الرشد، وينفجر ينبوع الحكمة فيستحيل عبارات ثقيلة مهيلة وبيانًا يسحر الألباب، وتتناسل الأفكار والخطرات والتبصرات التي لا يعقلها إلا من تشرب الإيمان وذاق حلاوة الذكر وذلك بداية الرقي الفكري الإنساني المأمول.

عودًا على بدء، إن الكون نظام جميل معقد التركيب وبسيط الإدراك والفهم، وهو نموذج للحياة التي ارتضاها

عندما تنهار منظومة القيم الأصيلة المؤسسة للفكر الرشيد، وتنهد معالم الفضائل، ويستأسد العبث، ويتغول الطيش، يفقد السلوك الآدمي البوصلة وتضيع مقاصد الأعمال وتفسد النوايا.

المولى جل في عليائه للإنسان وغيره من الكائنات، وأخاله عالم من جملة عوالم محكمة الصنع من الحكيم العليم، لذلك عندما نرتقي بفكرنا لفهم مقاصد الحياة وسر هذا الوجود الكوني الفريد؛ تصير خطى وحركات الإنسان متطابقة مع خط الزمان ورحابة المكان، وتستقر الأنفاس وتصحو الضمائر ويستيقظ الإحساس بالخالق العظيم، وتتجلى أنواره القدسية في الفكر والمنطق والسلوك وكل حركات وسكنات الإنسان.. فلا تعب ولا نصب ولا إرهاق ذهني في البحث والتفلسف عن واجد الوجود، ولا خيالات تائهة أو تصورات تشكو ضعف الرؤية، أو خواطر بليدة تجتهد محتشمة لصياغة معاني الوجود والمصير. ولكن بمجرد ما يصحو الشك، ويستأسد الإلحاد، ويطغى الجحود، يتحول السلوك البشري إلى الفوضى ثم الضلال، ويتبعثر كل شيء فتختلط الأوراق، وينقلب الوجود الآدمي حتى يغدو أشبه ما يكون بالكائن الطفيلي الذي يفسد كل شي، فيُصَيّر الحلو مرًّا، والنهار ليلاً، والفجر والإشراق ظلامًا وتيهًا.. بترسانة مصطلحات تنضح بالتدليس على الفكر الرشيد، وفي قالب فلسفة عمياء أغرت فأضلت، معتقدة أنها حاملة للفتح مخلصة من الأساطير ومرشدة للحقيقة.

إن صوت الضمير الإنساني المستنير بالوحي هو معدن الحقيقة وجوهر الحق والمرشد إلى الصواب حتى وإن تعامينا أو ضللنا أو غفلنا وأصابت بصائرنا غشاوة من فرط عتمات الهواجس والأشواق المستعرة. إن صحوة الضمير، السبيل الأوحد لارتقائنا ولزوم رشدنا، إنه الوقود الذي ينير أطياف الفكر الإنساني، فتنجلي عتمات الهواجس والخيالات وما ولدته من رغبات وأشواق هابطة أبطأت خطى الإنسان في مسيرة الزمان. ■

---

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

خلف أحمد أبو زيد*

# في جسمنا جهاز تكييف

إن الإنسان كائن يتميز بدرجة حرارة ثابتة وهي ٣٧ درجة، إذا ارتفعت عن ذلك المعدل أو انخفضت، تعرّض الإنسان للمرض وتعرّضتْ حياته للخطر. لكن من عجائب القدرة وبديع صنع الخالق ﷻ، أن زود أجسامنا بجهاز بالغ التعقيد يثبت حرارة الجسم في الدرجة الطبيعية يمكننا أن نسميه جهاز التكييف الطبيعي، الذي يعمل على الحفاظ على درجة حرارة الجسم دون أن يشعر الإنسان بذلك أو يتدخل. إنها القدرة التي خلقت وأبدعت كل شيء بنظام دقيق ووضع منسجم. ولكن ما حقيقة هذا التكييف، الذي يعمل دون أن نشعر أو نحس به؟

## مصدر الحرارة في الجسم

تؤكد الأبحاث العلمية أن هناك مصادر متعددة ومتنوعة ينتج من خلالها الجسم الإنساني الحرارةَ؛ فهناك تفاعلات كيميائية أساسية متنوعة تحدث داخل الجسم، وتعمل على إنتاج وتوليد الطاقة في أجسامنا في جميع الأوقات. ويأتي تناول الإنسان الطعامَ في مقدمة مصادر الطاقة التي يحصل عليها الجسم الإنساني؛ حيث يزيد تناول الإنسان للطعام، من إنتاج الطاقة في الجسم بسبب الفعل الديناميكي الخاص للطعام، ولكن المصدر الرئيسي للحرارة في الجسم، يتكون من انقباض ما يعرف بالعضلات الهيكلية الإرادية.

وفي حالة غياب الطعام، هناك صور عديدة ينتج بها الجسم الحرارة، من أهمها الآلات الهرمونية أو المجهود العضلي الأدرينالين والنورادرينالين، حيث يؤديان إلى زيادة سريعة في إنتاج الحرارة في الجسم، لكنها تستمر لفترة قصيرة. كما أن هرمونات الغدة الدرقية، تؤدي إلى زيادة في إنتاج الحرارة في الجسم، هذه الزيادة تتم ببطْء وتستمر لمدة طويلة، هذا إلى جانب أن هناك نوعًا خاصًّا من الدهون يسمى بـ"الدهن البني"، يتواجد ما بين عظمتي اللوح وفي أجزاء من الجسم. وهذا الدهن يمثل مصدرًا لكمية كبيرة من طاقة الجسم، خصوصًا لدى الأطفال الرضع. ومن أهم مميزات هذا الدهن أنه يمتلك معدلاً عاليًا من الأيض، ويعمل مثل بطانية دهنية تحمي الجسم من برودة الجو.

**كيف يفقد الجسم الحرارة؟**

والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: كيف يفقد جسم الإنسان الحرارة الزائدة عن المعدل الطبيعي؟ وكيف يحدث ذلك؟ وكيف يتصرف جسم الإنسان من أجل التخلص من الحرارة الزائدة؟ والتفسير العلمي لذلك، هو أنه عندما يكون الجو حارًّا، نلاحظ حمرة الوجه وهو يحدث نتيجة اتساع في الأوعية الدموية في الجلد، الأمر الذي يترتب عليه مرور مزيد من الدم بها، وبالتالي فقدان مزيد من حرارة الجسم، وهذا الدم يأتي من الأنسجة العميقة، أي إنها عملية تبريد للجسم. وهذه الآلية تعرف بالمواصلة أو المناقلة النسيجية، هذا بجانب أن هناك صورًا عديدة يفقد الجسم من خلالها الحرارة الزائدة، منها الأغشية المخاطية المبطنة للفم والممرات التنفسية، فعندما يتبخر جرام واحد من الماء، يتخلص الجسم من ٠,٦ كالوري من الحرارة، وعندما تكون درجة حرارة الجو ٢١ درجة مئوية فإن ٧٠٪ من حرارة الجسم المفقودة تكون عن طريق الإشعاع والتوصيل، أما تبخر العرق فيؤدي إلى تخلص الجسم من ٢٧٪ من الحرارة. حيث يؤكد العلماء وجود ٣-٤ ملايين غدة عرقية موزعة في الجلد توزيعًا محكمًا، وتفرز هذه الغدد العرقية في أيام الحرّ ٢٠٠ سم٣ لكي تخلص الجسم من

**تؤكد الأبحاث العلمية أن هناك مصادر متعددة ينتج من خلالها الجسم الإنساني الحرارة، فهناك تفاعلات كيميائية أساسية متنوعة تحدث داخل الجسم، وتعمل على إنتاج وتوليد الطاقة في أجسامنا في جميع الأوقات.**

الحرارة، ويتبخر هذا الماء الذي تفرزه خلايا العرق، بعد أن يفرز وينتشر على سطح الجلد، ومع التبخر يحدث ما يسمى بالتبادل الحراري، فحينما يتبخر العرق، يمتص الحرارة من الجسم، ليعود الجسم إلى درجته الطبيعية. هذا إلى جانب أن جسم الإنسان يتخلص أيضًا من الحرارة الزائدة عن طريق التنفس، وذلك يكون بنسبة ٢٪، وعن طريق التبول والتبرز وذلك بنسبة ١٪.

**حالة برودة الجسم**

أما في حالة برودة الجسم فتضيق الأوردة لتخفف جولان الدم في السطح الخارجي، فيصفر لون الإنسان وتقوى شهيته للطعام، وتزيد رغبته في الحركة والنشاط. وتضيق الأوردة هنا ليبقى الدم في الداخل ويحافظ على حرارته. ومن ناحية أخرى ينشط الفص الخلفي من الهيبوتلامس الذي يشعر الإنسان بالرعشة، مما يولد الحرارة في الجسم فتنشط الهرمونات التي تلعب دورًا مهمًا في تكييف جسم الإنسان أثناء البرودة، ويزداد إفراز الأدرينالين والنورادرينالين، الأمر الذى يزيد من إنتاج الحرارة في الجسم لتصل إلى المعدل الطبيعي.

إن جهاز التكييف عند الإنسان دقيق جدًّا، يواجه الحر ويواجه البرودة، وإذا حدث داخله خلل في تنظيم درجة حرارة جسم الإنسان، يقال إن الإنسان مصاب بالحمى، بمعنى أنه ارتفعت درجة الحرارة داخل جسمه عن المعدل الطبيعي، وعندها يحس المريض بإحساس غير طبيعي ببرودة أو حرارة، ويرتعش ويعرق ويشحب لونه، ويشعر بحرارة في وجهه نتيجة لتعطل جهاز التكييف هذا. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

أ.د. بركات محمد مراد*

# هل الاستنساخ البشري خطر على مستقبلنا؟

إن الاستنساخ بمفهومه العام هو التوالد الخضري أو اللاجنسي، وهو آلية يتم استخدامها في الطبيعة كطريقة للتكاثر عند الحيوانات غير الراقية أو النباتات الراقية وغير الراقية. فإذا كان الاستنساخ قد أثار ضجة عارمة في الأوساط العلمية والاجتماعية كافة في الآونة الأخيرة، فإن ذلك يعود إلى استخدام تقنيات تخصيب مخبرية ليس لها مقابل في الطبيعة، والتي يمكن تطبيقها على الإنسان لتوليد أجنة بشرية متماثلة، وهو ما انتهى إليه علم الوراثة بشكل عام، والهندسة الوراثية بشكل خاص.

## الاستنساخ والأخلاق

في نهاية القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة، وبالرغم من الحقائق العلمية الكثيرة التي تكشفت عن هذا الحقل، يأتي إمكان تطبيق بعض الاكتشافات والتقنيات كالاستنساخ، ليقلق المجتمع العلمي.

وهنا يمكن أن يثار سؤال هام: ما الذي يمنع هؤلاء الباحثين المشتغلين بهذه الأبحاث الجينية والوراثية من استخدام تقنية الاستنساخ لأهداف توالدية، أي لاستنساخ البشر؟ ماذا لو اضطرت بعض الحكومات استنساخ البشر أو استخدام تقنيات الاستنساخ على البشر تحت طائلة المسؤولية القانونية؟

وماذا لو امتنعت حكومات أخرى عن وضع تشريعات مماثلة؟ فهذا يعني تهيئة بيئة مناسبة للباحثين المغامرين، للقيام بأبحاثهم في تلك الدول التي تسمح ولا تحّرم. إن الالتزام بالمعايير الأخلاقية قد يصبح مسألة شخصية، ولا يمكن اعتمادها وسيلة لإقناع كل باحث بضرورة التقيد بالقوانين وعدم التعرض للطبيعة البشرية أو لقوانين الحياة، بحيث تتوقف محاولات استنساخ وتعديل طبيعة البشر كما يقول "فهد نصر" في مقاله "هل يُسمح بالاستنساخ البشري؟"

## الاستنساخ العلاجي والتوالدي

يؤثر الباحثون التمييز بين نوعين من الاستنساخ العلاجي والتوالدي، والأول يهدف إلى توليد وعزل خلايا جذعية بشرية يُراد منها تشكيل المادة الأولية؛ لإنماء خلايا متخصصة -كالخلايا العصبية والعضلية- وذلك لاستخدامها في علاج طيف واسع من الأمراض كالسكري وأمراض القلب والتليف الكيسي أو الحوصلي. وتستخدم حاليًّا تقنية الإغراس النووي؛ لنقل النواة من خلية المانح إلى البويضة فتشرع الأخيرة بعد التحريض (الكهربي) بالانقسام الميتوزي فتشكل جنينًا بشريًّا مستنسخًا.

ويمكن أيضًا للبويضة غير المخصبة أن تنمو من خلال سيرورة التوالد الكبرى، وتعتمد على تحريض البويضة قبل أن تنهي انقسامها الميوزي أو الانتصافي الذي يسمح للخلايا الجنسية بتضعيف عدد صبغياتها. أما

**كثير من الباحثين يتحفظ على جواز الاستنساخ في النطاق الحيواني غير البشري، لأن تطبيقه يؤدي إلى اختلال في التوازن الحيوي إذا سمح لكل من يملك تقنية الاستنساخ الحيوي أن يستخدمها بلا ضمانات أو حدود.**

الاستنساخ التوالدي فيهدف إلى استخدام التقنية نفسها لتوليد جنين بشري يتم اغتراسه في رحم امرأة حاضنة فيؤدي (فيما لو تم نموه) إلى ولادة طفل مستنسخ.

ويبرر البعض الاستنساخ العلاجي الذي يهدف إلى إنتاج خلايا جذعية بأنه لا يعارض قدسية الحياة، لأنه يستخدم أجنة بشرية في مرحلة مبكرة من النمو. ويضيف هؤلاء ويعلنون أن الاستنساخ بوساطة النقل النووي ينتج كينونة بيولوجية ليس لها مقابل في الطبيعة، لذا لا يمكن اعتبارها شخصًا.

هذه الآراء تصرخ بالتناقض، لأن البويضة المخصبة بالنقل النووي تحمل في داخلها إمكان النمو لتصبح كائنًا حيًّا، لذا تستحق الاحترام، أما النقل النووي بالذات فهو يعارض الطبيعة لأنه يؤدي -فيما لو استخدم الاستخدام التوالدي- إلى توليد نسخة مماثلة لإنسان موجود، وهذا ما نعارضه بشدة لأنه مخالف لكل قوانين الطبيعة، كما أنه يترتب عليه مشكلات أخلاقية.

فما الوضع الأخلاقي للبويضة المخصبة بالنقل النووي، والتي ستنمو إلى مرحلة "الكيسة الأريمية" لكي تستخدم في الأبحاث العلمية، والتي تهدف بدورها إلى إنتاج خلايا جذعية لمعالجة بعض الأمراض؟ هل يجوز أن نضحي بأجنة بشرية لمعالجة المرضى؟

هنا يبدو جليًّا أن الاستنساخ البكري قد يشكل بديلاً عن الاستنساخ الذي يتم بالنقل النووي، وذلك لأنه لا يثير المعضلات الأخلاقية نفسها للأسباب التالية:

**أولاً**: تخصيب البويضة بكريًّا لا يعد استنساخًا لنواة مانح، بل يؤدي إلى كينونة جديدة ليس لها مقابل في الطبيعة.

**ثانيًا**: البويضة المخصبة بكريًّا لم تأت نتيجة التقاء البويضة بالنطاف، وعليه فإنها لا تملك الحقوق نفسها

hiragate.com

التي تحظى بها البويضة المخصبة طبيعيًا.

**ثالثًا**: إن تكوينها الوراثي وإن كان يوافق تمامًا الكائن الذي سحبت منه البويضة، فهو يختلف عنه، لذا يمكن أن تشكل مصدرًا للخلايا الجذعية، وتستخدم لعلاج المانح نفسه.

**رابعًا**: قد تكون مصدرًا لسلالة عالمية من الخلايا الجذعية.

**خامسًا**: إذا كان لا بد من السماح لتقنية الاستنساخ بأن تستخدم على الإنسان لأهداف طبية، فوحدها آلية الاستنساخ البكري يمكن اعتمادها، لأن أكثر الباحثين حزمًا وتشددًا لا يعارضونها.

إن الاستنساخ الجديد -إذا اقتصر تطبيقه على غير المجال البشري- لا خطر فيه، بل فيه كثير من المصالح المعتبرة من النواحي الطبية والاقتصادية، سواء تم في النطاق النباتي كما يجري تطبيقه، أو في المجال الحيواني الأدنى (الميكروبات) كما عرف منذ أمد، أو في الحيوانات العليا الثديية كالنعجة دوللي، ولكننا -ومعنا كثير من الباحثين- نتحفظ على جوازه في هذا النطاق الحيواني غير البشري، لأن تطبيقه يؤدي إلى اختلال في "التوازن الحيوي" إذا سمح لكل من يملك تقنية الاستنساخ الحيوي أن يستخدمها بلا ضمانات أو حدود. وقد جرب العالم في الأعوام القليلة الماضية "جنون البقر" لاستخدامه الغذاء الحيواني، لتسمينه وزيادة وزنه.

**الاستنساخ والقانون**

يبدو أنه في عصرنا الراهن عصر الثورة العلمية والتكنولوجية المتمثلة في الطفرات والقفزات الهائلة في تقنيات المعلومات والاتصالات، وبحوث البيولوجيا والهندسة الوراثية التي يسميها "توفلر" بالقنبلة البيولوجية، يبدو أنه في هذ العصر كُتب على القانون أن يتخلى عما يتمتع به من وقار وتؤدة، وأن يلهث لهاثًا سريعًا لملاحقة الآثار الاجتماعية بالغة العمق التي أحدثتها وستحدثها هذه الثورات العلمية المتلاحقة في حياة الأفراد والمجتمعات.

إن التطورات الحديثة في علوم الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وتقنيات الاتصال وثورة المعلومات والإنترنت وبحوث الجينات والإخصاب المعملي والنقل النووي الجسدي الاستنساخي، قد تركت وستترك انعكاسات بالغة الخطورة والتأثير على القانون بمختلف فروعه المدنية والتجارية، هذا فضلاً عن انعكاساتها على مهنة القانون ذاتها، بحيث أصبح أداؤها أكثر يسرًا ورقيًا من الحالة البدائية التي كانت عليها منذ عقود، وأكثر تعقيدًا وتركيبًا في نفس الوقت.

والحق يقال إن كثيرًا من باحثينا القانونيين قد تنبهوا إلى ما تمثله الثورة العلمية التكنولوجية من تحديات لنظامنا القانوني، فأخذوا يخوضون في مجالات للبحث كانت إلى عهد قريب تعد في نظر أسلافهم نوعًا من الافتراضات الخيالية، كتلك التي برع فقهاء المسلمين الأوائل في الحديث عنها كنوع من الرياضة العقلية والتدريب الذهني.

**رجال الدين والاستنساخ**

وبعد ولادة النعجة دوللي باستخدام التقنية الجديدة للنقل النووي الجسدي، هبت عاصفة الحديث عن المشروعية إذا ما طبقت هذه التقنية على البشر، وترددت أصدؤها في كل أنحاء العالم، وشارك فيها كل من رجال الدين والقانون والأخلاق والفلسفة والعلماء ورجال السياسة، وكالعادة في كل نقاش ساخن، حفلت الساحة بالمعارضين الذين يرون في استنساخ البشر أمرًا غير مشروع دينيًا وأخلاقيًا، والمؤيدين الذين يحذرون من الوقوف في وجه التطور العلمي.

وكما هو متوقع، وقف رجال الدين على مختلف انتماءاتهم الدينية ضد تطبيق تقنية الاستنساخ في مجال توالد البشر، وفي تقديمه لكتاب "ج. إ. بنس" (من يخاف الاستنساخ) كتب الدكتور محمود حمدي زقزوق مقالاً بعنوان "الإسلام لا يعتمد للإنجاب إلا طريقًا واحدًا"، حيث إن الاستنساخ للكائن البشري يؤدي إلى مشكلات شائكة ومعقدة من شأنها تهديد نظام الأسرة كله، وهو نظام يقوم على الزواج الذي هو علاقة حميمة بين زوجين، ويعد الأطفال في الأسرة ثمرة طبيعية، ومن شأن الاستنساخ أن يؤدي إلى اختلال هذا النظام وفقدان

hiragate.com

هذه العواطف وضياع الانتماء الطبيعي داخل الأسرة.

كما عقد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، ندوتين عن "الاستنساخ بين العلم والدين"، "والاستنساخ في رؤية الفقهاء" في يوليو وأغسطس عام ١٩٩٨، وكان هناك إجماع من فقهاء المسلمين على تحريم الاستنساخ البشري، لكونه عبث بالبشرية سيؤدي إلى فسادها، ولأنه يخالف المنهج الإلهي في الخلق وسيؤدي إلى اختلاط الأنساب وانهيار الأسرة، ومفاسده على الإجمال أكثر من المصالح التي تعود من ورائه إن كانت هناك مصالح على الإطلاق.

### الاستنساخ في أوروبا

وقد صدرت عديد من التشريعات في الدول الأوروبية (ألمانيا وإسبانيا وبريطانيا وسويسرا) تنظم التدخل الطبي في الجينات بما في ذلك الاستنساخ، سواء بحظر التلاعب في الخصائص الوراثية، أو استعمال الخلايا المعدلة، أو أي نسخ للجنس البشري، أو خلق عملاق إنساني، أو إنسان مختلط من حيوان (ألمانيا)، أو تحديد أهداف أبحاث الهندسة الوراثية في التشخيص العلاجي، أو الوقاية أو الأغراض العلاجية (إسبانيا)، أو حظر الخلط بين الجينات الإنسانية والحيوانية (بريطانيا وسويسرا).

### الاستنساخ وصلته بالأخلاق

أما في مصر، فالمشرع -كما يذكر الدكتور محمد نور فرحات- ما زال على تجاهله لمثل هذه التقنيات، اكتفاء بالأحكام العامة في القانون، على الرغم من مطالبة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والتي طالبت بالتدخل التشريعي، وألقت الضوء على الجوانب الدينية والعلمية والطبية المتعلقة بتقنيات الهندسة الوراثية.

وللأسف إننا نجد المستشار الخبير بالقانون يقدم لنا رؤية متشائمة، ولكنها في الحقيقة واقعية في عدم الامتثال للقوانين التي توضع في هذا الشأن فيقول: "إن التجربة علمتنا أن البحث العلمي له منطق التطور الذاتي المستقل، الذي لا يعبأ كثيرًا بصيحات الاحتجاج الأخلاقية أو بالحرمات الدينية، فكم من صيحات ارتفعت ضد تجار الإخصاب المعملي وضد تجارب نقل الأعضاء، ومع ذلك أصبحت هذه الممارسات واقعًا مفروضًا على المجتمعات أن تتعامل مع آثارها أيًّا كانت درجة استحسانها أو استهجانها".

ومن هنا يكتفي المستشار القانوني بطرح بعض الإشكاليات الرئيسة ـ وهي كثيرة جدا ـ التي تترتب على تطبيق التقنيات البيولوجية الجديدة لعمليات الإخصاب الصناعي منها ما يتعلق بمسئولية الطبيب أو العاملين في المركز الطبي ومنها ما يتعلق بالآثار التي تترتب على التلقيح وهي نتائج شديدة الخطورة، ولكن الأهم والأخطر هو تلك التحديات بالغة الخطورة التي يمتلكها تكنيك الإخصاب على النظام القانوني للنسب وما يتبعه من آثار مرتبطة بالميراث وحقوق الصغير في الحضانة والنفقة وموانع الزواج بين الأقارب وما إلي ذلك، وغيرها من المشاكل الشرعية والقانونية إضافة إلى الإشكاليات الكثيرة والمستحيلة والتي لم تواجهها الإنسانية من قبل.

### أخلاقيات المستقبل

وعامة يُملي علينا التفاؤل المنبثق من الإيمان بالعلم وأخلاقياته، والأخلاق المنبثقة من باطن الضمير الإنساني الحي، أو الذي ينبغي -لصالح الإنسان- أن يكون حيًّا، أن نتمسك بأخلاق خاصة بالعلم ينبغي أن تسود واقع البشرية المعاصرة. ومن هنا فتوضيح آليات هذه التجارب العلمية الخاصة بالاستنساخ، أو بالهندسة الوراثية، ونتائجها المرتقبة، ومخاطرها المحتملة، يقع على كاهل الباحثين عبر مقالات مبسطة ومحاضرات وندوات علمية عبر الفضائيات والشبكات المعلوماتية.. هذا النوع من النقاش المفتوح، يسمح للمجتمع بإدراك أن قانونًا أو تشريعًا عالميًّا قد يكون هو الخطوة الأولى نحو عالم أكثر أمانًا واحترامًا لكرامة الإنسان. وقد تجد الأمم المتحدة نفسها داخل هذه الدوامة، فتحض عندها كل الدول على القيام بالتشريعات اللازمة، لحظر التجارب على الإنسان، والسماح بتلك التي تضمن التقدم العلمي والطبي لمعالجة المرضى وتخفيف آلامهم. ■

---

(*) قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

hiragate.com

أدب
د. عبد الرحيم الحسناوي*

# الرواية
# وإعادة تحبيك التاريخ

بغض النظر عن الحدود التي تظل قائمة بين الرواية والتاريخ، فإن هناك الكثير من العناصر التي تشدهما معًا إلى أصل تعبيري واحد يجد حده الأمثل في السرد. ولا يحتاج المرء إلى أن يذهب بعيدًا للتدليل على علاقة التداخل بين الرواية والتاريخ، حيث كتب التاريخ وخاصة في تراثنا العربي والإسلامي، تحفل بمفردات هي جزء من طبيعة الرواية، مثل روى، حكى، أخبرني، ذكر، قال.

ومثلما يستدعي التاريخ الرواية في كثير من الأحيان، نجد أن الرواية هي التي استدعت التاريخ لإيجاد مقروئية لأحداثها. ويتجلى ذلك فيما يصطلح عليه بـ"فراغات التاريخ"، أي حينما لا تتوفر المصادر التاريخية اللازمة أثناء البحث.

ولا مناص للرواية إذا اختارت الفضاء التاريخي المرجعي مجالاً لها من أن تقول التاريخ، ولكنها تقوله على طريقتها، أي لا تكرره وإنما تحينه؛ فالرواية تستند إلى المادة التاريخية وتدفع بها إلى قول ما لا يستطيع التاريخ قوله. ويترتب على هذا أن الرواية من خلال حواريتها لا يمكن أن تكون إعادة كتابة للتاريخ، وإنما هي أتون ينصهر فيه العنصر التاريخي مع عناصر أخرى تسهم جميعًا في بناء الكون التخيلي للرواية.

## ظاهرة المؤرخ الروائي

لا بد من إثارة قضية أو ظاهرة صارت لافتة للانتباه عند المؤرخين المغاربة، وهي تحوّل عدد غير قليل منهم من مجال التاريخ إلى حقل الأدب، ولا سيما مجال الرواية. ولعل السؤال الذي ينتصب أمام ذهن القارئ في هذا المقام، هو لماذا اختار هؤلاء هذه التجربة، أي التحول من حقل التاريخ المعروف بصرامته العلمية، إلى كتابة الرواية بكل عوالمها التخييلية والرمزية؟

وسوف نقتصر هنا على نموذجين اثنين لمؤرخين مغربيين لقيت أعمالهما الأدبية (الروائية) كثيرًا من الذيوع والمقروئية، ويتعلق الأمر هنا بكل من المؤرخين عبد الله العروي، وأحمد التوفيق.

في مقابل أعمال عبد الله العروي الفكرية والتاريخية، التي تعبر عن عمق مواقفه واختياراته وتحليلاته، تبرز أيضا كتاباته الإبداعية السردية. فالقارئ العربي يعرف أيضًا هذا المفكر من خلال أعماله التخييلية (الروائية)، والتي تأتي كاستمرار وامتداد لتجربته الفكرية. فهو يقول: "إني لا أميل إلى الرواية إلا بدافع تجاوز ما يظهر من صرامة تحليلاتي الأيديولوجية والتاريخية". وكأني بالعروي يستشعر بأن التعبير الأدبي (الروائي) أصدق من التاريخ في استيعاب هواجسه، ذلك أن الأديب عندما يتناول حدثًا أو شخصية تاريخية، يجد الحرية الكاملة في الانطلاق وراء خفايا الحدث ودوافعه، أو وراء التجربة الخصوصية للشخصية، بينما يقف المؤرخ جامدًا إزاء هذا، ذلك أنه ملتزم برواية الحدث كما هو، وحتى في محاولته إعمال فكره فهو لايستطيع أن يلجأ إلى التصورات الفكرية، وإنما ملتزم بالمنطق العلمي، أو بطريقة أخرى، فإن مجال المخيال مفتوح أمام الأديب، بينما هو مغلق أمام المؤرخ.

وما يدعم هذا الاعتقاد هو قول العروي دائمًا: "إذا سئلت ما هو الغرض من كتابتك للقصة، فلا بد أن أجيب أن الغرض منها هو التعبير عن أشياء لا أعبر عنها بالتحليل العقلاني. لو كان التحليل العقلاني بالنسبة لي كافيًا للتعبير عن كل ما أحس به لما كان هناك داع لكتابة القصة". ومن خلال هذا المعنى الأخير، نستطيع أن نفهم لماذا رفض عبد الله العروي أن تكون أعماله الأدبية والتخييلية نوعًا من الاستنساخ المشابه لكتاباته الأكاديمية، ومناهجها

**لا يمكن اختزال المؤلف الأدبي في وثيقة تاريخية، فهو بنية رمزية ودالة تصاغ من التاريخ كواقع ماض وحاضر تاريخي، صورًا ورؤى تحيل بدورها إلى التاريخ.**

العلمية الصارمة. ويعبر عبد الله العروي عن هذه الرأي قائلاً: "يخطئ من يظن أن المادة واحدة، وأن ما يوجد في الأعمال الأدبية يوجد في الأعمال التحليلية". بهذه الكيفية يعمل العروي على إعادة صياغة النص التاريخي بطريقة إبداعية تندرج في سياق المقارنة بين ما هو روائي في التاريخ باعتباره علمًا، وبين ما هو خاص بالتاريخ في الرواية بوصفه إبداعًا، وعلى نحو يمكن من النفاذ مباشرة إلى المناطق المنسية، وسبر الأغوار التي أغفلها المؤرخون، للوصول إلى جوهر الحقيقة الغائبة، أو الحقيقة التي يحجبها الخطاب الرسمي المبتور. إن انصهار التاريخ في الأعمال الأدبية التخييلية لعبد الله العروي، لا ينبغي أن يحجب عنا الحدود الأبستيمولوجية التي تظل قائمة بين الخطابين الفكري والأدبي، وذلك من منطلق خصوصيات كل منهما، إلا أنها تظل في العمق مع ذلك متكاملة.

## المغرب بين زمنين

وبالعودة إلى الكتابة الروائية، لا بد لنا من استحضار تجربة عبد الله العروي المتميزة في روايته "أوراق"، والتي تعتبر العمل الروائي الرابع الذي أصدره العروي سنة ١٩٨٩. وهو يعكس مرحلة تاريخية حاسمة، ارتبطت بالمجتمع المغربي، وهي التي جمعت بين زمنين مغايرين؛ الأول يهم الاستعمار، بينما يجسد الثاني تطور الواقع المغربي وانتقاله إلى مرحلة الاستقلال وما عرفته من عوائق في بناء هذا المغرب الجديد، بسبب الرواسب التي صعب تجاوزها، والتي شكلتها ظروف المرحلة الانتقالية. وهذا ما صورته شخصية "إدريس" الذي تجرع مرارة الخيبة والإخفاق بعدما اصطدم حلمه في مغرب مستقل، وناهض بواقع مترهل ومثقل بالجهل والانتهازية. يقول العروي: "العبور من الحب إلى التاريخ هو الوصول إلى سن النضج، أما الانتكاس من التاريخ إلى الحب فهو

hiragate.com

الصد عن الإخفاق الاجتماعي، ينعزل فيه المرء فيعود إلى حياته الشخصية، ومن ثم إلى الحب".

**جارات أبي موسى**

نموذج آخر لمؤرخ مغربي صار بدوره يتبوأ مكانة متميزة في مجال التخييل التاريخي، حيث لاقت بعض أعماله الروائية كثيرًا من الذيوع والانتشار. ويتعلق الأمر هنا تحديدًا بالمؤرخ أحمد التوفيق، الذي ولج هو الآخر مجال الرواية، وشجعته تجربته كمؤرخ متخصص في التاريخ الاجتماعي على دخول عالمها، يقينًا منه بأن الرواية هي وسيلة فعالة تمكن من التعبير عما أغفلته أو سكتت عليه الأبحاث والدراسات التاريخية.

ولعل هذا ما تعكسه تجربة المؤلف في روايته "جارات أبي موسى"، وهي رواية ذات طابع تاريخي، كونها تنهل من أحداث تاريخية تندرج ضمن سياق تاريخي معين وهو العصر الوسيط (الفترة المرينية)، كما تتناول بشكل بين الفساد الاجتماعي الذي تفشى آنذاك، خاصة في سلا (المدينة التي تدور فيها أحداث الرواية)، وكذا جور واستبداد الحكام ومن لهم السلطة والنفوذ، كما يقابل هذا الواقع ظهور طرق صوفية رافضة لهذا الواقع المتأزم والمتفشي.

من يقرأ الرواية للوهلة الأولى، يكتشف حضور التاريخ في هذا النص الروائي، كما يلاحظ نوعًا من الصلة الوطيدة بين الفعل الروائي والمتن التاريخي في شكله التقليدي، ويظهر ذلك أيضًا من خلال لغة السرد، التي تنهل من النصوص التراثية والمناقبية، وكتب الأخبار، وصيغ الترسل والكتابة الديوانية التي انتشرت إبان فترات الحكم العربي والإسلامي، سواء في المغرب أو المشرق.

إن الصلة بين رواية "جارات أبي موسى" والمتن التاريخي، تؤشر على تداخل عام يجعل الرواية ذات ملمح تاريخي، كونها تتخذ من التاريخ بأحداثه وشخصياته مرجعية لها. إنها رواية تاريخية بالمعنى المتعارف عليه، والذي يستحضر المادة التاريخية المتحققة في الواقع الفعلي، ويستثمرها في صنعة التخييل.

لا أحد ينكر -إذن- ظلال التاريخ في هذا النص الروائي، حتى غدا الخطاب الروائي جزءًا من التاريخ والتاريخ جزءًا من الرواية. "وجارات أبي موسى تعتمد أحداثًا تاريخية لا تسردها بشكل تصاعدي يجعلها بؤرة العمل، ولكنها تبثها هنا وهناك، وهذا راجع إلى التخييل الذي يجعل الرواية تنفلت من أسر الاشتغال كمجاز خطابي للتاريخ وإعادة صياغة له".

وبهذا الشكل تكون رواية "جارات أبي موسى" وهي تستلهم التاريخ، واعية بحدود ذلك الاستثمار الذي يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته بقدر ما تصور رؤية الكاتب له وتوظيفه لهذه الرؤية، للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة له.

**الأدب بين التاريخ والمؤرخين**

يمكن القول بأن الرواية أو التاريخ في الأدب، تختلف عن التاريخ عند المؤرخين، فهؤلاء يعطون صورة موجهة وغائية للأحداث التي يعرضونها، ويدخلون الوقائع والمسارات التي يصفونها في منطق تفسيري. والأدب لا يقول التاريخ، بل يقيم معالم له، يظهر وينشئ من الواقع عالمًا، لا تهم الكرونولوجيا فيه بقدر ما تهم الجذور والشرائح الداخلية والسمات الدالة. وبهذا المعنى لا يمكن اختزال المؤلف الأدبي في وثيقة تاريخية، فهو بنية رمزية ودالة، تصاغ من التاريخ، كواقع ماض، وحاضر تاريخي، صورًا ورؤى، تحيل بدورها إلى التاريخ.

إن الفارق بين عمل المؤرخ وعمل الروائي بيّن؛ يكمن في رغبة الأول في التطابق مع الوثائق، وعدم انصياع الثاني لهذه الرغبة. فالمؤرخ يؤلف حبكات تسمح له بها الوثائق المتوافرة أو تمنعها، إلا أن هذه الوثائق لا تشتمل على هذه الحبكات. فيما تكون حرية الروائي في التحبيك أكبر؛ لأنه متحرر نوعًا ما من إكراهات التطابق مع الوثائق والأرشيفات، بعبارة أخرى إن الروائي حرٌّ في أن يعيد تشكيل التاريخ بالإضافة والحذف؛ لأن مهمته هي إعادة صوغ الحياة في تجلياتها المختلفة، لا كتابة التاريخ الموضوعي الصعب المنال حتى على المؤرخين المحترفين. ■

(*) باحث في التاريخ وعلوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط / المغرب.

hiragate.com

أ.د. علي جمعة*

# المساواة حق إنساني

عالج الفقهاء قضايا المساواة وحقوق الإنسان تحت عناوين مختلفة، مثل المقاصد الشرعية والمصالح العامة والقيم النبيلة.. وقد قرروا أن من أهم الأسس والقيم التي بنيت عليها مقاصد الشريعة؛ العدالة والمساواة بين البشر. فالإنسان بصفته الإنسانية خليفة في الأرض وهو مخلوق مكرم، وتحقيق العدل وتطبيق المساواة بين الناس يرقى بالإنسان في التحضر والتمدن، ويحقق له ما يصبو إليه من حرية وكرامة وسعادة.. وكل أمر هذا شأنه فهو أمر الشارع ومراده من الخلق.

بل جعلت شريعة الإسلام الحقوقَ الإنسانية التي تجب لكل إنسان بصفته الإنسانية، ضرورات واجبة، فالمأكل والملبس والمسكن والأمن والحرية في الفكر، والاعتقاد والتعبير والعلم والتعليم والمشاركة في صياغة النظام العام للمجتمع، ضرورات في المجتمع يجب على الدولة أن توفرها لمطلق رعاياها، ويجب على الأفراد أن يطالبوا بها ويحافظوا عليها لمجرد الإنسانية؛ فإن الناس جميعًا -بمقتضى العقيدة الإسلامية التوحيدية- عباد لرب واحد،

فهم جميعًا في مرتبة العبودية سواء أمام الله تعالى.

والمساواة في الإسلام لا تعني أبدًا القضاء على الاختلاف أو التمايز بين الناس؛ إذ الاختلاف سنة كونية من سنن الله في خلقه، وهو حقيقة واقعة في الخلق ولا يمكن محوها أو التغافل عنها، ولكن المساواة تعني العدالة، والعدالة تكون في عدم التفرقة بين الإنسان فيما يخرج عن فعله واختياره. لذا يجب أن تطبق مفاهيم المساواة الإنسانية في إطار من احترام الاختلاف والتمايز بين الناس، وعدم الاعتداء على هويتهم الذاتية أو محاولة مسحها أو محوها. ولقد قرر القرآن الكريم المساواة في أصل الخلقة بين البشر جميعًا فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)، أي خلقكم أيها الناس جميعًا من أصل واحد، من آدم وحواء.

والآية وإن جاءت في صيغة الخبر لكنها اشتملت على أمر فحواه: يا أيها الناس ذروا كل المعايير الفاسدة التي اعتبرتموها في تشريف الإنسان وتعظيمه، واحتكموا إلى المعيار السليم الذي يتحقق به النفع لجميعكم وهو التقوى.

ويلاحظ في الآية صيغة التفضيل في قوله ﴿أَكْرَمَكُمْ﴾، فإن فيها بيانًا للمستوى الذي تتحدث عنه الآية، فهي تحدثنا عن المستوى الأعلى من التكريم والتشريف، ويفهم من ذلك ضمنًا أن لمطلق الإنسان كرامة، وأن للمسلم كرامة كبيرة، وأن للتقي الصالح كرامة أكبر.

ولكن لكرامة الإنسان عمومًا، حدًّا لا ينبغي أن يبخس إنسان منه شيئًا، وهو حد العدالة، وهو الحد الذي تتوفر بمقتضاه للإنسان ضرورات الحياة وحاجات العيش وتحسينات الاحترام والتقدير. وفي حديث رسول الله ﷺ إشارات عدة إلى المساواة بين الناس والعدل بينهم، فعنه ﷺ أنه قال: "إن أنسابكم هذه ليست بِسِبابٍ على أحد، وإنما أنتم ولَدُ آدم طَفُّ الصاع لم تملؤه، ليس لأحد فضلٌ إلا بالدِّين أو عملٍ صالح، حَسْبُ الرجل أن يكون فاحشًا بَذيئًا بخيلاً جبانًا" (رواه الإمام أحمد).

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: "يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية -أي كبرها وتجبرها- وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان؛ بَرٌّ تقي كريم على الله، وفاجر شقي هَيِّنٌ على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب" (رواه الترمذي).

وظلت المساواة واحترام الآخر ومعاملته بالقسط، قيمًا أخلاقية راسخة في حياة المسلمين. فلم تقتصر المساواة في الإسلام على مجرد المبادئ المعلنة فقط، بل عاشها المسلمون في حياتهم كأمر عادي ليس في فعله عناء أو مشقة، وكانت المساجد مكانًا يلتقي فيه الأبيض بجوار الأسود على حد سواء في العبودية لله، وفي الحج تتلاقى الأجناس جميعها بثوب واحد لا تمايز فيه.

وشملت العدالة في الدولة الإسلامية غيرَ المسلمين بقدرٍ من الرعاية الاجتماعية لوصية رسول الله ﷺ بهم كما شملت المسلمين سواء بسواء، مما جعل المؤرخ "توينبي" في دائرة المعارف التاريخية ينبهر بالمساواة التي رسخها الإسلام، فقال إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة على فكرة توحيد العالم، وإن بقاء الإسلام أمل للعالم كله".

### المساواة بين الرجل والمرأة

لقد قرر الإسلام المساواة كمبدأ عام بين الناس جميعًا، وجعله مهيمنًا تسري روحه كدعامة لجميع ما سنه وقضى به نظام وأحكام تضبط علاقات الأفراد رجالاً ونساء. وكان من تقديره لقيمة الإنسانية المشتركة بين الجميع، تكريم الجنس البشري بنوعيه دون تمييز بين رجل وامرأة.

لذلك تأكد في عقيدة المسلم، أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول، وأنْ ليس هناك تفاصيل في إنسانيتهم بين رجل وامرأة، إلا بما يجري على ذلك من أسس مكتسبة أساسها التقوى والعمل الصالح، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(النساء:١).

فالرجل والمرأة من نفس العنصر، خلقهما الله زوجين متجاذبين حتى يخلق من اجتماعهما نسلاً جديدًا، قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(الأعراف:١٨٩). وكرم الله ﷻ الرجل والمرأة بالتكليف دون تمييز، وترتيب الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية، فهما متساويان في

hiragate.com

الجزاء والمؤاخذة، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(آل عمران:١٩٥). وساوى سبحانه بين الرجل والمرأة على مستوى الحقوق، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:٢٢٨).

وأما على مستوى التكريم والإحسان، فقد أوصى الشرع الشريف الرجل برعاية المرأة زوجة كانت أو أمًّا أو أختًا، فقال سبحانه: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾(البقرة:٢٣٦).

ونهى الإسلام عن ظلم المرأة أو البغي على حقوقها المادية أو المعنوية، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾(النساء:١٩). وكذلك نبه رسول الله ﷺ إلى المساواة بين الرجل والمرأة، ووجوب الرعاية للنساء في أحاديث عدة، فقال: "إنما النساء شقائق الرجال" (رواه الإمام أحمد)، وقال: "استوصوا بالنساء خيرًا" (رواه البخاري)، وقال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (رواه الترمذي).

وقد اشتبه على أناس أن في بعض الآيات القرآنية تمييزًا بين الرجل والمرأة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾(النساء:٣٢)؛ ففهموا أن الله فضَّل الرجل بالذكورة على المرأة للأنوثة، وأن على المرأة ألا تتمنى ما فضَّل الله به الرجل.

والصحيح أن أولى الأقوال في تأويل الآية أن معناها: للرجل نصيب من ثواب الله وعقاب مما اكتسبوا وعملوا من خير أو شر، وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كما للرجل.

وهذا أولى من تأويل الآية بأن للرجل نصيب من الميراث وللنساء نصيب منه؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أن لكل فريق من الرجال والنساء نصيبًا مما اكتسب، وليس الميراث مما اكتسبه الوارث، وإنما هو مال أورثه الله إياه عن ميته بغير اكتساب، ولا يجوز -أيضًا- تأويل الزيادة في نصيب الرجل في الميراث على الأنثى المساوية له في درجة القرابة من المورث على أنه فضل للرجال على المرأة، وكذلك فليس في فرض الجهاد على

**يجب أن تطبق مفاهيم المساواة الإنسانية في إطار من احترام الاختلاف والتمايز بين الناس، وعدم الاعتداء على هويتهم الذاتية أو محاولة مسحها أو محوها.**

الرجل تفضيل لهم على النساء. كما اشتبه على البعض قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(النساء:٣٤) فظنوا أن الآية تتحدث عن جنس الرجال وجنس النساء؛ والظاهر من السياق أن الآية تتحدث عن الزوج وزوجته، حيث جاء فيها: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾(النساء:٣٤)، ولا يصح لأي رجل أن يفعل ذلك إلا بزوجته.

وليس في قوامة الزوج على زوجته أي انتقاص لحقوقها أو امتهان لإنسانيتها وذاتها، والآية -وإن جاءت في صيغة الخبر لكنها إنشائية- تأمر الزوج بأن يقوم على حاجة أسرته بالرعاية والحماية والإنفاق، وتأمر الزوجة ألا تنازع الزوج فيما يأمرها به من معروف، وتخبر الآية أن الأصل في الأسرة الإسلامية أن تكون على هذا المنوال.

وإن احتسبنا هذه القوامة حقًّا أو تشريفًا للزوج، فإنه يفترض عليه من الواجب ما ينال به هذا الدور من القوامة، ولن يحصل على هذه القيادة هبة أو لمجرد ذكورته، فقد جاءت الآية لتبين الأسباب الموضوعية التي تبنى عليها هذه القوامة.

ولا تعني القوامة بأي حال، أن يتحكم الرجل بواسطتها فيفرط في بقية القيم الأخلاقية الإسلامية فيكون رأيه في الأسرة استبدادًا وتسلطًا، أو يأمر بالمعروف والمنكر والطاعة والمعصية بلا تفرقة، أو يتدخل في الأمور الخاصة بزوجته كأن يتدخل في عقيدتها فيكرهها على تغييرها أو يفتنها في دينها، أو يتدخل في تصرفاتها المالية الخاصة؛ وذلك أن الزوجة المسلمة لا تطيع زوجها طاعة عمياء، بل تطيعه في المعروف، فإن خالف وأمر بمعصية فلا طاعة له عليها. ■

(*) مفتي الديار المصرية الأسبق.

hiragate.com

د. الشريف حاتم العوني*

# الإبداع الوليد

كـم تـرك الأول للآخِـر"؟ وكـم فـوّت الآخِر من إبداعات الأول؟ فلا الأولون أغلقوا علينا مجـالات الإبـداع، ولا المتأخـرون أدركـوا كثيرًا من إبداعات الأولين.

وكما لم يجز إغلاقُ باب الاجتهاد، لم يجز إهمالُ ما بناه الأولون من الاجتهاد.

وكما خسـرنا كثيرًا جدًّا في السـابق جرّاء التقليد وإغلاق باب الاجتهاد (الإبداع)، فإننا ما زلنا نخسر من إهمال الصرح العظيم القديم لاجتهادات و"إبداعات" الأولين.

والحقيقة أن الانغلاق الفكري وضمور القدرة على الإبداع كما شـجّعا على التقليد ردحًا من الزمن، فهما نفسـهما شـجّعا علـى عـدم إدراك إبداعـات المتقدميـن، حتـى فـي ظـل الدعـوة المعاصرة للإبداع والتجديد ونبذ التقليد!

فنحـن فـي حاجة إلـى أن نعـرف حاجتنا الماسـة للإبداع أولاً، ثـم أن نـدرك بعمـق حقيقـة الإبـداع مـا هـو، والتي هي الحقيقـة نفسـها. ثم نـدرك أن إدراك الحقيقة لا يكون إلا في

إن الإبداع الحقيقي لن يكون بالتنكر للإبداع القديم، بل باكتشافه من معادنه الأصلية من دون الاعتماد على الوسائط غير الأمينة عليه لعدم كفاءتها من كثير من المتأخرين والمعاصرين، ثم ببناء إبداعنا على إبداعهم.

حراء

سياق الحرية الفكرية والخيال الواسع، لكي نكون مبدعين.

فليس الإبداعُ مقصورًا على الإتيان بالجديد، ولا كل جديد إبداع، ولا كل قديم ليس إبداعًا.. فكما كان من الإبداع أن تسبق إلى الحقيقة التي لم يعرفها أحد قبلك، فقد يكون من الإبداع أيضًا أن تكتشف أنت باستقلال استدلالك الخاص الحقيقة التي سبقك إليها الآخرون.

وهذا يؤكد حقيقة مهمة وهي أن "الحقيقة" بحد ذاتها هي الإبداع، والواقف على "الحقيقة" مبدع، سواء كان سابقًا أو مسبوقًا، بشرط أن يعرفها بمنهج علمي لا تقليدي. كما أنه لا فرق بين مبدع وآخر، إلا بقدر حجم "الحقيقة" المكتشفة، وأن حجمها يوزن بقدر ما كان مجهولاً منها، وبقدر ما تفيده في اكتشاف الحقائق الأخرى.

وفي زمن الثورة المعاصرة على الجمود والتقليد -كما نخشى على هذه الثورة من هجوم التقليديين ضدها ومن اغتيالهم لها- فإننا نخشى أن تصبح هذه الثورة أداة هدم لإبداعات السابقين، وإهدارًا لمنجزات عظيمة كان يمكن أن نبني عليها منجزاتنا، وأن نكمل إبداعاتهم بإبداعاتنا؛ لأن كل إبداعٍ لا يمكن إلا أن يكون وليدًا لإبداعٍ آخر سابق، ولا يمكن أن يكون الإبداع وليد عدمِ الإبداعِ إلا عند الخالق الذي يبدع من العدم.

فمن أراد أن يبدع بلا تأسيس إبداعه على إبداعات السابقين، فقد نازع الرب خاصية من خصائص الربوبية، فهو إما ملحد أو مجنون، وإما مبدع في الفشل وفي المثابرة والإصرار على عدم الإبداع.

والحق يقال إن من أسباب ظهور جيلٍ من طالبي الإبداع من غير تأسيس على الإبداعات السابقة، هو وجودُ جيلٍ من أناس ترأّسوا باسم العلم، وباسم حمايته، فأعطَوا تصوراتٍ مغلوطةً عن اجتهادات السابقين، فزَهِد فيها بسببهم طالبوا الإبداع، لظنهم عدمَ صلاحية التأسيس القديم في أن يكون قاعدةً لانطلاقتهم الإبداعية.

فنحن في حاجة ماسة لمن يبدع حقًّا بالتأسيس على إبداعات السابقين، لحاجتنا إلى الإبداع أولاً، ولكي نعطي النموذجَ الحيَّ للإبداع الصحيح ثانيًا، ولكي نُثبت أخيرًا أن الإبداع الحقيقي لن يكون بالتنكُّر للإبداع القديم، بل باكتشافه من معادنه الأصلية، من دون الاعتماد على الوسائط غير الأمينة عليه (لعدم كفاءتها) من كثير من المتأخرين والمعاصرين، ثم ببناء إبداعنا على إبداعهم.

فهل آن الأوان لترشيد حمايةِ التراث ولترشيد الإبداع معًا؟ ■

---

(*) كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية.

فتح الله كولن

# تلوث يدمر كل عمل

على الجميع أن يحذر من تلويث لسانه، لأن تلوّث اللسان من تلوّث الجَنان. ما لم يفسد القلب لا يفسد اللسان. فاسد القلب مشغول اللسان بالنقد والغيبة على الدوام. ولا يشفع له أن يقول "قلبي نظيف، أنا أخدم الله، وأتحرى سبيل الخدمة".. لن يصدقه أحد.

طهارة القلب تثمر بيانًا طاهرًا وأفكارًا نقية. لننتج أفكارًا إيجابية، أفكارًا بديلة، لنطرح أفكارنا على الرأي العام ومجالس المشاورة.. لندافع عن أفكارنا وفق الأصول، وبأسلوب يتوافق مع أدب النقاش والمناظرة. وإذا لم تلق أفكارنا قبولاً، فلنطرحها في وقت آخر مرة أخرى وبأسلوب آخر. لنعرض فكرتنا بأسلوب "التصريف" الذي يعلّمه القرآن لنا، ولكن لنتجنّب الغيبة ولنبتعد عن النقد السلبي؛ لأن ذلك يذهب بخير وبركة الخدمة التي نقوم بها.

لا خير في عمل تلوَّث بالانتقاد والغيبة. بل لو كان عملكم بحجم عمل سيدنا جبريل عليه السلام وحظيتم بالخلود وعملتم إلى الأبد، وأخلصتم في عملكم أيما إخلاص، ووصلتم إلى القمة في الإخلاص، أقول لكم -وربما أقسم لكم- بل أقسم لكم، والله وبالله وتالله، لن تجنوا خيرًا ولا بركة منه إذا تلوث بالغيبة. لو أن خدمتكم هذه قام بتمثيلها ملائكة من أمثال جبريل وميكائيل

وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، وانتقدوا بعضهم بعضًا -على فرض المحال- واغتابوا بعضهم بعضًا، فلن تحصّلوا خيرًا ولا بركة منها. تعملون ليل نهار، تقطعون الجبال والقفار، لكنكم لا تتقدمون قيد أنملة.

## الثبات والانزلاق

قد تبنون سكنًا، فتضعون لبنة فوق أخرى، فيستقيم المبنى ويستقر، لكنكم في "الخدمة الإيمانية" تعملون مع الإنسان، والإنسان لديه استعداد هائل للانزلاق في أي لحظة. إنكم تنجزون عملاً مع أناس تتركونهم يسيرون خلف جبريل عليه السلام، وفجأة تجدونهم قد نكصوا وصاروا يسيرون وراء الشيطان.

التوقف انهيار.. إن توقفتم في حياتكم الفردية أو الاجتماعية، ينهار كل شيء.. إن توقفتم في خدمتكم الإيمانية ينهار كل شيء.. يقول تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(مريم:٥٩).

كم من أناس نجحوا كما نجحتم، وأنجزوا كما أنجزتم.. لكن خذلهم مَن خَلَفهم، فلم يحافظوا على إنجازاتهم. خَلَف هؤلاء الطيبين قومٌ لا جدّية في صلاتهم، ولا صدق في علاقتهم مع الله، أسرى الهوى والشهوات، يعيشون من أجل إشباع أبدانهم وإرضاء أجسامهم، فتدحرجوا في مهاوي الغي والضلال.

من السهل أن تكونوا شيئًا، ولكن الحفاظ على ذلك الشيء صعب جدًّا. قد تكونون من السابقين في الدعوة، فيأخذكم الغرور والتباهي، وتعملون على فرض أنفسكم على الآخرين، تقولون: "على الجميع أن يسمعني ويطيعني".

تعملون وتعملون، لكن لا تبدو أي نتيجة في الأفق.. تمشون وتمشون لكن لا يبدو النور في الطرف الآخر من النفق.. تشعرون بالإحباط فتتراجعون، بينما لم يبق سوى خطوة واحدة، صُرّوا على أسنانكم وتقدموا خطوة أخرى، فإذا بالنور أمامكم سيحتضنكم.

قد تهتز ثقتكم في لحظة ما، عندما لا يؤدي عملكم إلى نتيجة، تقولون: "ها نحن نعمل منذ سنين، نسعى نكدح، لكن أين النتيجة؟" ما لكم أيها الناس؟ النتيجة ليست من مسؤوليتكم، وليست في وسعكم أصلاً. النتيجة في ذمة الله. قوموا بواجبكم ولا تتدخلوا بشؤون الربوبية. أدوا وظيفتكم ولا تتدخلوا في شأن الله، لكن أكثر الناس يخطئون. ■

---

(*) الترجمة عن التركية: نوزاد صواش. هذه النصوص مترجمة من دروس الأستاذ الخاصة.

طارق خايف الله*

# من قواعد التفكير السليم

إن العقل والإرادة اللذين منحهما الله ﷻ لنا، لا يناسبهما إلا إطلاق حرية التفكير عند الإنسان، فعن طريق التفكير الحرّ ينتخب الإنسان أفكاره ويتوسّم سبيل الوصول إلى الحقائق، ويجنّب نفسه الوقوع في الأوهام. وقد بلغت دعوات القرآن إلى التفكير درجة عالية تصل إلى حد الوجوب، كيف لا وقد أناط الله تعالى بالتفكير التوصل إلى الحقائق الدينية المصيرية، بما في ذلك الإيمان بالله تعالى

وبرسوله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(سبأ:٤٦)، وهاته الحرية (حرية التفكير) مما لا يختلف فيه، لأن تفكير الإنسان فيما يصلح أحواله في حياته وأخراه مما لا غنى لأحد عنه، فلذلك يقول ابن عاشور: "هاته الحرية مما لا يتطرق إليها تحجير، إذ لا يمكن كَبْت الفكر عن الحرية في المعقولات والتصورات والتصديقات"؛ فكأن الإمام يشير إلى أن حرية التفكير تتنافى مع الهبة الإلهية للإنسان بهذا العقل الجبار، فلو أراد الله تعالى أن يعطل حريتنا وتفكيرنا، لَمَا أتاح لنا هذا العقل الذي من فَرْط حريته كفرانه بخالقه.

ومن أجلى مظاهر ثمرات حرية التفكير لدى المسلمين تطور المعارف، وازدهار العلوم، وظهور المدارس العلمية والفقهية، وتأصل النظريات العلمية وظهور الاكتشافات.. كل ذلك بسبب الحرية في التفكير التي تفتّق المواهب وتطلق العنان للعقل في أن يجول بفكره ويكتشف القوانين، لا ينكر في ذلك أحد على أحد إلا فيما يتعلق بالخطأ والصواب.

إن الإسلام لم يفرض على حرية الفكر قيودًا تُعطِّلها، وإنما حذّر من أن تتحول هاته الحرية إلى تسيُّب، فتكون مثارة للنعرات وسببًا لهدم المجتمع وإشاعة الفاحشة فيه.

انتقاد القرآن لمن يفكر بعقلية الآباء والأجداد وما وجد عليه الحال، إذ يجب على كل إنسان صحة التفكير فيما يعن له من حوادث، وألا يترك أي أحدٍ يفكر بدله، فالتفكير هنا متعلق بذوات الأفراد لا يغني فيه أحدٌ عن أحد. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(المائدة:١٠٤).

يدعونا النظر القرآني إلى السير في الأرض بجناحي التفكر والتدبر؛ للوقوف على سنن الأشياء وحكمة الله في الكون، والالتفات إلى البدايات وأهميتها في دراسة

إن الإسلام لم يفرض على حرية الفكر قيودًا تُعطِّلها، وإنما حذّر من أن تتحول هاته الحرية إلى تسيُّب، فتكون مثارة للنعرات وسببًا لهدم المجتمع وإشاعة الفاحشة فيه.

الأشياء عبر مراحلها المختلفة، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(العنكبوت:٢٠)؛ فلكي يأخذ التفكير مساره الطبيعي يجب النظر إلى الأشياء نظرة شمولية متكاملة من كل جوانبها، وعدم إغفال جانب على جانب، لأن في الإغفال تقصيرًا في الجهد ومن ثم الظلم في الحكم.

تحري العلم والموضوعية وهذا من عنوان الإسلام الكبير، وطريقه المستقيم الذي يفرضه على أتباعه قبل غيرهم، والآية الكلية في هذا هي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(النمل:٦٤).

إن الكلام الذي يلقى على عواهنه دون سند من حجة أو برهان، هو الذي يكثِرُ من الخلاف ويشحن النفوس بالبغضاء والخصام، فتضيع الحقيقة ويكثر المتقوّلون على الله ورسله بغير علم، فيضِلُّون ويُضِلُّون. ولله درّ علمائنا حين قالوا: "ولو أمسك عن الكلام من لا يعلم لقل الخلاف".

عدم التحيز لفئة، أو جعل عداوتها سببًا لسوء الحكم عليها وغمطها حقها المأمور به شرعًا، وضرورة الإذعان للحقائق ولو خالفت هوى النفس ورغبةَ من نحب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(المائدة:٨)، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾(النساء:١٣٥)؛ فكلا الآيتين تقضيان عدم انجرار الإنسان وراء ميولاته، ضاربًا بعرض الحائط مقتضيات العدل ومساواة الناس أمام الحقائق التي لا يمكن التغاضي عنها أبدًا.

hiragate.com

وقد أعطى رسول الله ﷺ من نفسه ومع أصحابه أروع الأمثلة في التفريق بين الغرض الشرعي والغرض غير الشرعي، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تعدّ وتحصى، ويكفي قوله ﷺ لحبّه أسامة بن زيد حينما جاء شافعًا في المرأة المخزومية بإيعازٍ من قريش، فغضب وقال: "أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟" (رواه البخاري).

اتهام النفس حيال الهزائم والنكسات، وعدم إلقاء اللوم والعتاب على الآخر، وتبرئة ساحة الإنسان الفردية من كل مسؤولية. ففي السابق كان الإنسان "الدهري" أو "القدري" يعلّق هزائمه على القدر وإرادة الله وهم طائفة القدرية، واليوم تأخذ القدرية شكلاً جديدًا يتمثل فيما يسمى بـ"نظرية المؤامرة" التي من سلبياتها عدم محاسبة النفس والرجوع إلى الذات، من أجل نقدها وتحديد مسؤولياتها في هذا الشأن، قال تعالى في بيان معرض هذا الأمر، ومجيبًا عن تساؤل المؤمنين بعد معرفة أحد حينما قتل من المسلمين عدد كبير: ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾، فجاء الجواب الإلهي مباشرًا: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾(آل عمران:١٦٥)؛ أي أن ما أصابكم من هزيمة راجع إليكم بسبب معصيتكم وعدم طاعة أمر نبيكم.

وهكذا يمكن عدّ ما لا يحصى من القواعد القرآنية والحديثية، التي تعنى بجانب التفكير الذي أخذ نصيب الفرض والواجب من أقسام الحكم الشرعي عندنا.

ولَكَم كان لحرية التفكير عند المسلمين من بالغ الأثر في تكوين الحضارة والاستفادة من التراث الإنساني كله. أكثر من ذلك، فقد كان لحرية الفكر إسهام عظيم في وحدة الأمة الإسلامية، والنأي بها عن الحروب الدينية وحروب إبادة التطهير العرقي كما حدث في حضارات أخرى.

إذن، حرية الفكر مما رغب فيه الإسلام وحضّ عليه، وأطلق للإنسان العنان في أن يستعمل فكره فيما يعود عليه وعلى أمته بالنفع. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

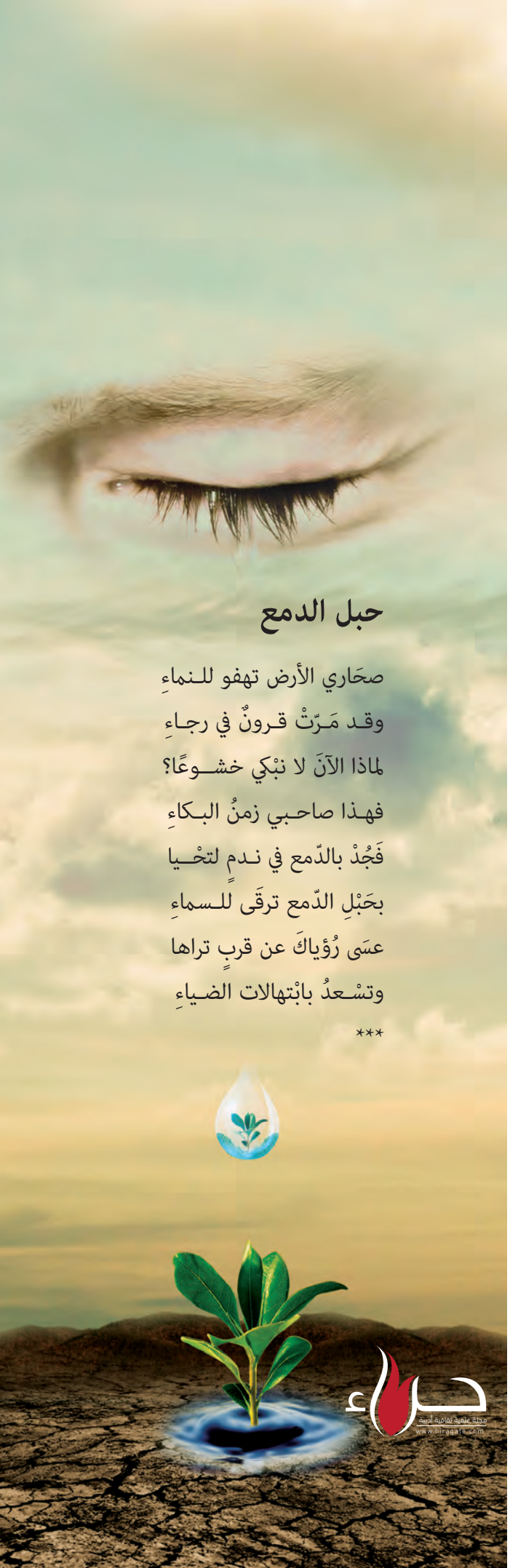

## حبل الدمع

صحَاري الأرض تهفو للنماءِ
وقد مَرّتْ قرونٌ في رجاءِ
لماذا الآنَ لا نبْكي خشوعًا؟
فهذا صاحبي زمنُ البكاءِ
فَجُدْ بالدّمع في ندمٍ لتحْيا
بحَبْلِ الدّمع ترقَى للسماءِ
عسَى رُؤياكَ عن قربٍ تراها
وتسْعدُ بابْتهالات الضياءِ

***

د. محمد السقا عيد*

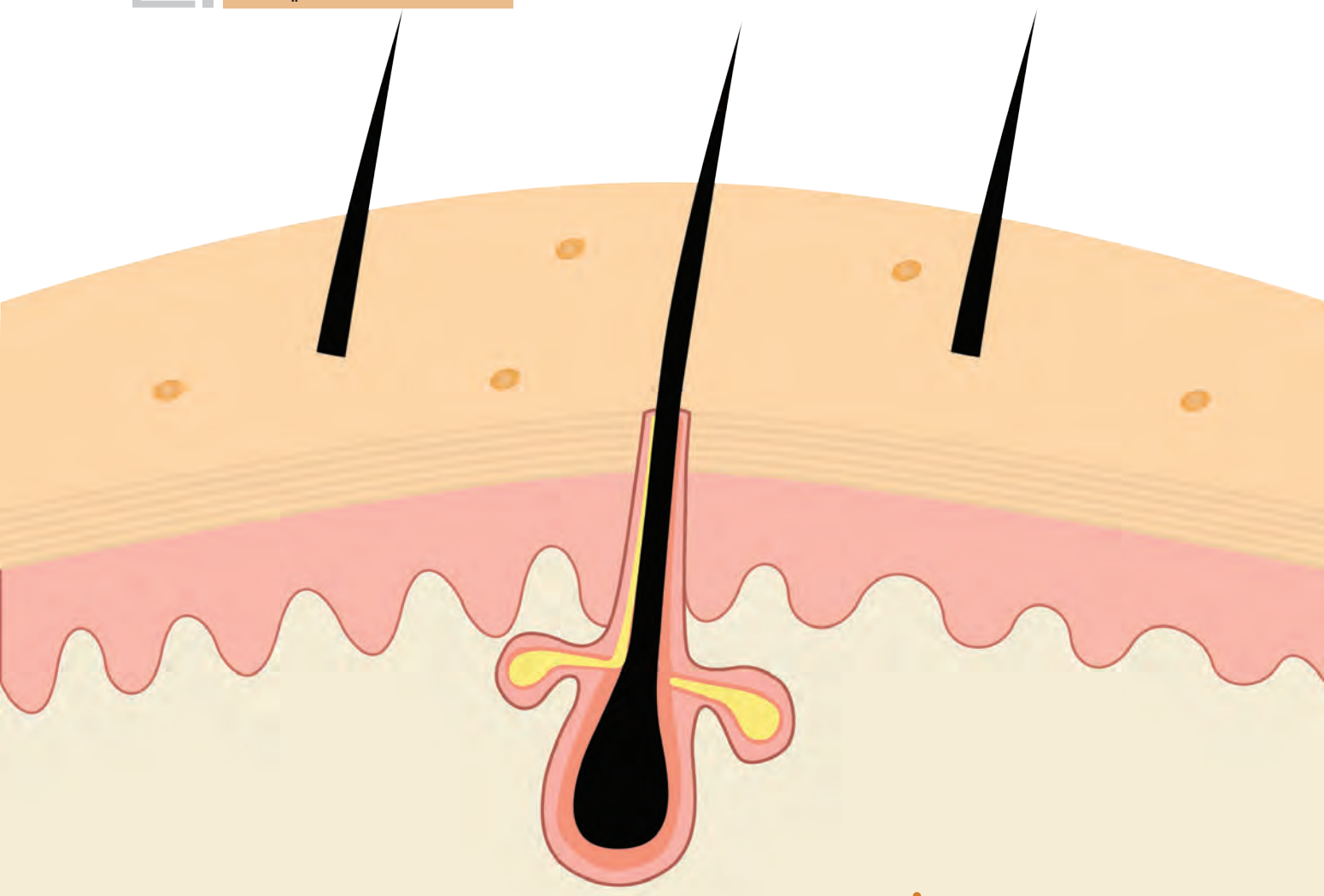

# شعرك سر جسمك

شعر الإنسان هو النسيج الثاني الأكثر نموًّا بعد نسيج نخاع العظام، وينمو في أغلب مناطق الجسم، ما عدا راحة اليد، وباطن القدم، والجفون، والشفاه. ويظهر الشعر في جسم الجنين خلال الشهرين الأوّلين من عمره، ويتركز في الحواجب، والشفة العليا، والذقن، أما شعر باقي مناطق الجسم فيظهر في الشهر الرابع. ويبلغ العدد الإجمالي للشعر في الإنسان خمسة ملايين شعرة منها ١٠٠,٠٠٠ في فروة الرأس.

يتكون جسم الشعرة من بصيلة وهي جذر الشعرة، والساق الذي يكوِّن البشرة الخارجية، والقشرة، والنخاع أو اللب. وقد أثبتت الدراسات العلمية أن لكل شعرة ١٤ عنصرًا نادرًا، ويتقاسم اثنان من بين بليون شخص، تسعة عناصر منها.

**اختلاف سمك الشعر وتنوع فوائده**

يختلف ملمس الشعر بين جزء وآخر من أجزاء الجسم، كما يختلف أيضاً فيما بين الجنسين وما بين فرد وآخر وما بين جنس وآخر من الأجناس البشرية، وكذلك يختلف سمكه وكثافته من شخص لآخر.

وللشعر دور فعّال في حياة الإنسان؛ فهو يتغير باستمرار على مدار مراحل نموه، وله فوائد كثيرة؛ فشعر الرأس -مثلاً- يحمي الإنسان من تأثير الأشعة فوق البنفسجية، ويقلل الفاقد الحراري من الجسم في الأيام الباردة، ويدافع عن الجسم من الفطريات والبكتيريا والميكروبات الضارة.

أما الشعر تحت الإبط، فيحافظ على هذه المنطقة من التسلخات الجلدية بحكم الحرارة الصادرة من الجسم، ويقلل من عملية الاحتكاك الطبيعية نتيجة المشي أو الركض، ويساعد على تجديد الأوعية الدموية داخل الجسم.

وأما شعر الحواجب، فهو مسؤول عن حماية العين من دخول العرَق إليها والذي غالبًا ما يكون محمّلاً بالأملاح والتراب، أما شعر الرموش، فهو يحمي العين من الذرات المتطايرة ويحافظ على الرؤية الواضحة.

وهناك فائدة هامة جدًّا وهي "الاتزان"، والمسؤول عن تلك الفائدة نوع متخصص من خلايا الشعر موجود بالأذن ويُسمى "خلايا الشعر الحسية"؛ حيث ترصد وضع الإنسان خلال الوقوف أو الجلوس أو الحركة، ثم تقوم بترجمتها إلى إشارات كيميائية تنتقل عبر عصب الاتزان إلى المخ، فيقوم المخ بإعطاء أوامر إلى عضلات الجسم بالانقباض والانبساط حسب الحاجة، حتى تتم الحركة بسهولة ولا يفقد الإنسان توازنه خلال المشي أو التوقف.

**شعرك يحدد جنسك وسنك**

توصّل الباحثون إلى طريقة تحليلٍ جديدة تعتمد على شعر الإنسان لتحديد جنسه، ومعرفة معلومات عن حياته، قد تكون أكثر فعالية من الحمض النووي. وما تزال الأبحاث قائمة للوصول إلى خيوطٍ تقدم معلومات تفصيلية أكثر من خلال هذه التقنية. وقد سعى باحثون أمريكيون في علم الكيمياء بالاعتماد على عينة من شعر الإنسان، لمعرفة سنه وجنسه، ونوعية غذائه، ونمط حياته بدقة.

كما أن هناك فكرة أخرى مستخدمة في علم الأحياء الجزيئي، حيث يحاول باحثو هذا المجال الحصولَ -من تغيرات خاصة في ضفائر الحمض النووي- على خيوط تقودهم لمعرفة العادات المعيشية لصاحب العينة حسبما أوضح مارك بارتل من جامعة هايدلبرغ. ويجري علماء الطب الشرعي في جامعة ميونخ أبحاثًا -منذ فترة طويلة- لمعرفة الأصل الجغرافي للمتوفى، من خلال تحليلات النظائر الخاصة بشعره. وتستخدم عينات الشعر في الطب الشرعي بألمانيا حاليًا، لمعرفة ما إذا كان صاحب العينة قد تعاطى مشروبًا كحوليًا، أو مخدرات، أو عقاقير من نوع ما حتى وإن مرت شهور على هذا التعاطي.

**حقائق علمية حول نمو الشعر**

يتشكل الشعر بصفة أساسية من بروتين "الكيراتين" وهو البروتين نفسه الموجود في أظافر اليدين والقدمين، ومن الضروري لجميع الناس -وفي مختلف الأعمار-

أن يتناولوا كمية كافية من البروتين للمحافظة على نمو الشعر الطبيعي.

ينمو الشعر بمعدل أسرع خلال الفترة العمرية ما بين ١٥-٢٥ عامًا، كما أن أبطأ معدلات النمو في شعر فروة الرأس تحدث عند المرأة المرضع، وفي سن الشيخوخة. وتنمو الشعرة بمعدل ثلث ملليمتر في اليوم، أي حوالي سنتيمتر واحد في الشهر. وينمو الشعر في الصيف أسرع منه في الشتاء، وفي النساء أسرع منه لدى الرجال، كما ينمو بمعدل أسرع أثناء الليل.

يختلف سمك الشعر وشكله باختلاف الأجناس، أما كمية الشعر فتكون -عادة- أكبر لدى الشُّقَّر، حيث تصل إلى ١٤٠,٠٠٠ شعرة في المتوسط، وأما السمر فيبلغ عدد الشعر لديهم إلى ١٠٥,٠٠٠ شعرة في المتوسط، ثم يليهم أصحاب الشعر الأحمر بـ٩٠,٠٠٠ شعرة.

يتوقف لون الشعر على ما يحتويه من صبغة الميلانين (خضاب داكن) من حيث كميته وتوزيعه، وكذلك ما تحتويه كل شعرة في لبابها المركزي من مقدار الهواء، علمًا بأنه كلما قل الميلانين خف لون الشعر، وكل شعر سواء كان أسود أم أشقر أم أحمر، يحتوي على بعض الميلانين.

أكدت الدراسات العلمية بأنه من الطبيعي جدًّا سقوط ١٠٠ شعرة في اليوم الواحد، وأن عمر شعرة الرأس يمتد من عامين إلى سبعة أعوام، وعندما تسقط شعرة واحدة تحل محلها شعرة أخرى جديدة من بصيلة الشعر نفسها الواقعة مباشرة تحت سطح الجلد.

### لماذا يسقط الشعر؟

قد يسقط الشعر نتيجة الإجهاد والقلق الشديدين أو الحمية القاسية، كما قد يحدث نتيجة حتمية للغذاء غير المتوازن مثل نقص البروتينات ونقص الحديد والزنك وفيتامين أ وب. وقد يزداد سقوط الشعر نتيجة الإصابة ببعض الأمراض أو زيادة هرمون الذكورة تستوستيرون عند الرجال الذي يسبب الصلع في حين أنه يسبب زيادة شعر الجسم . كما قد تتسبب بعض المشاكل

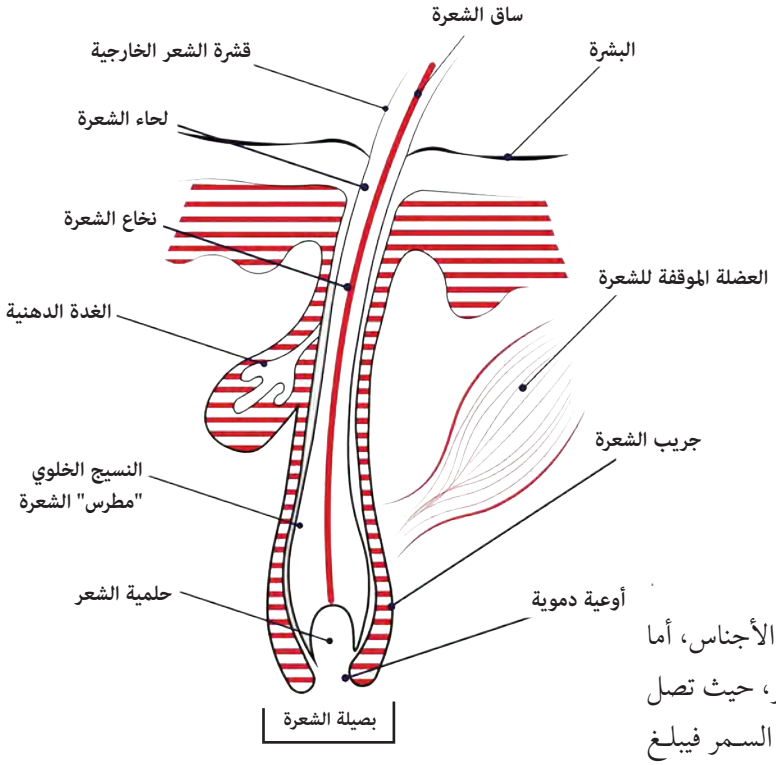


التركيب التشريحي للشعرة

والضغوطات النفسية في الإصابة بمرض هوس نتف الشعر، حيث يقوم المريض بنزع شعر جسمه إراديا وفي بعض الأحيان لا إراديا.

### لماذا يشيب الإنسان؟

الشيب أو الشعر الأبيض هو أحد الظواهر التي يمر بها الجميع عاجلاً أم آجلاً.. وقد تكون ظاهرة التحول من لون الشعر الأصلي إلى اللون الأبيض مألوفة لدينا جميعًا حتى وإن كانت مزعجة لدى البعض، ولكن قد يخطر ببال أحدنا بعض التساؤلات مثل: كيف يتكون الشعر الأبيض؟ وما هي أسباب ظهوره؟

الشيب أمر لا مفر منه، والآلية الدقيقة لتفسير حدوثه ما زالت غير واضحة تمامًا.. وقد قدم باحثون من جامعة لندن إسهامًا كبيرًا في هذا المجال عندما اكتشفوا الجين المسؤول عن تطور الشيب وحدوثه عند الإنسان، وهو الجين $IRF_4$، وأطلقوا عليه اسم "جين الشيب" (Gray Hair Gene)، حيث يتحكم هذا الجين في لون الشعر من خلال السيطرة على إفراز وتخزين صبغة الميلانين (Melanin)، وهذه

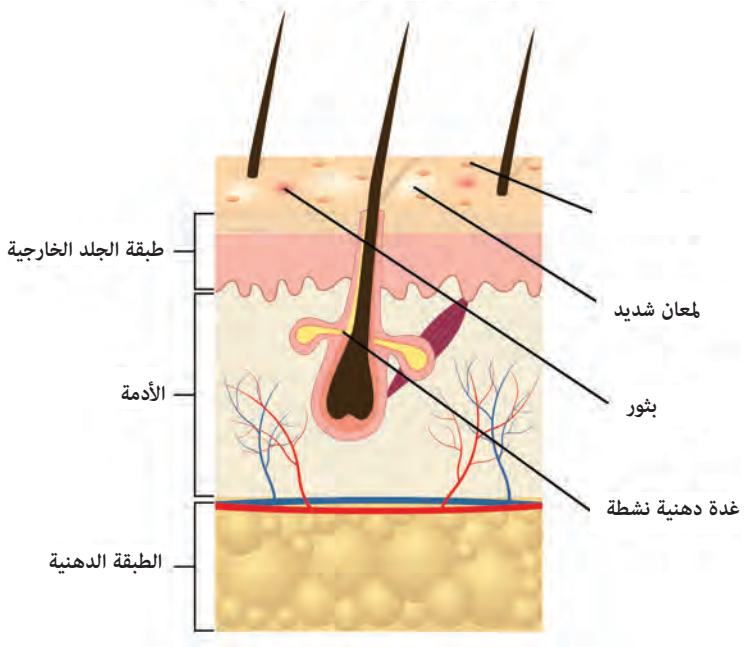


تركيب نوع البشرة الدهنية من الشعر

الصبغة هي المسؤولة عن لون الشعر والجلد والعيون.

وهكذا، فإن الشيب يحدث عندما ينقص أو يغيب الميلانين في الشعر، وإذا كنا نريد علاج أو إيقاف الشيب، فيجب أن نجد طريقة لمنع نقصان هذه الصبغة. وعلى كل حال، يوجد العديد من الجينات الأخرى التي تتدخل في حدوث الشيب، ولكن بدرجة أقل من $IRF_4$، ولا يرجع حدوث الشيب لعوامل بيئية، وإنما لأسباب وراثية وجينية.

وهناك بعض الحالات من الأفراد قد تجاوزوا الستين من عمرهم ولا يزال شعرهم أسود، بينما قد نشاهد بعض الشباب والأطفال دون العاشرة من العمر وقد بدأ الشعر الأبيض يغزو رؤوسهم.

**ما مدى قوة شعر الإنسان؟**

الشعر مادة معقدة جدًّا ولم تظهر الأبحاث حول بنيته وطريقة تكوينه إلا مؤخرًا. تستمر عملية نمو الشعر نحو أربع سنوات عند الرجال، وست سنوات عند النساء حتى يبلغ طول الشعر نحو ٨٠ سم، فتصبح الشعرة قادرة على حمل ٨٠ جرامًا، أي إن ألف شعرة ملتفة حول بعضها البعض، كافية لتعلق شخص متوسط الحجم.

في بحثٍ أجراه الدكتور "فريدريك ليروي" من مركز أبحاث لوريال، وُجد أنّ شعرة واحدة من رأس الإنسان، لديها القدرة على رفع ١٠٠ جرام من الوزن قبل أن تنقطع. وبما أنّ معدل عدد الشعرات التي تنمو على الرأس تساوي تقريبًا ١٥٠,٠٠٠ شعرة، فلو تم ربط الشعرات المنفردة في حزمة واحدة، فإنها ستكون قادرة على رفع ما يقارب الـ١٢ طنًّا وهو ما يساوي وزن فيلَين كبيرين.. يقول الدكتور "ليروي" بأن القوة المستخلصة من حبال الشعر، هي أشبه بتلك القوة لدى حبال الألمنيوم أو الكيفلر.

**الشعرانية (Hirsutism)**

الشعرانية هي ظهور الشعر عند النساء بنمط ذكري، أو تحول الشعر الرقيق فاتح اللون إلى شعر كثيف سميك وداكن في الأماكن التي لا ينبت فيها الشعر عند المرأة، مثل الشفة العلوية، والذقن، والظهر، والصدر، والبطن، والفخذ، والساعد. وتعتبر هذه الظاهرة من أمراض الغدد الصماء الشائعة، ويصيب ١٠-٢٠٪ من النساء. وتعد الشعرانية مصدرًا للقلق والاضطرابات النفسية والمشكلات الاجتماعية لدى النساء، وتسبب لهن إحراجًا وخجلاً شديدًا.

جُعل شعر الرأس زينة للإنسان وعلامة من علامات حُسنه وجماله، واللافت للاهتمام وجود شريان لكل شعرة، ووريد، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية.. وليس هناك عصب حسي في الشعرة، ولولا هذه الميزة لاحتاج الإنسان إلى استعمال التخدير الكُلّي في غرفة العمليات، لإجراء عملية حلاقة الشعر أو قص الأظافر.

والجدير بالذكر أن تركيب الشعر واحد، ولكن نرى شعر الرموش ينبت للأمام، وشعر الرأس ينبت للخلف، وشعر الشارب ينزل للأسفل، وشعر الحواجب يتجه الواحد منهما يمينًا والآخر يسارًا، وكلها تختلف عن بعضها البعض في سرعة نموها. ■

---

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

حسين عبد المطلب الأسرج*

# تعظيم الأثر الاجتماعي للتمويل الخيري

ترتكز ظاهرة الوقف على أصول الشريعة الإسلامية الرامية إلى تحقيق مقاصد فطرية وأخلاقية وإنسانية واجتماعية عامة، كما أنها تكفل وجود غطاء تنظيمي مرن في إطار الأحكام الشرعية، إذ إن هنالك مجموعة كبيرة متجانسة من القواعد (الثوابت) الفقهية التي تحكم أهداف الخير العام ومصلحة الجماعة، وتحقق في الوقت نفسه الإطار القيمي والأخلاقي والإنساني للسلوك الاقتصادي، وتصبغه بصبغة عقدية راسخة ومتينة.

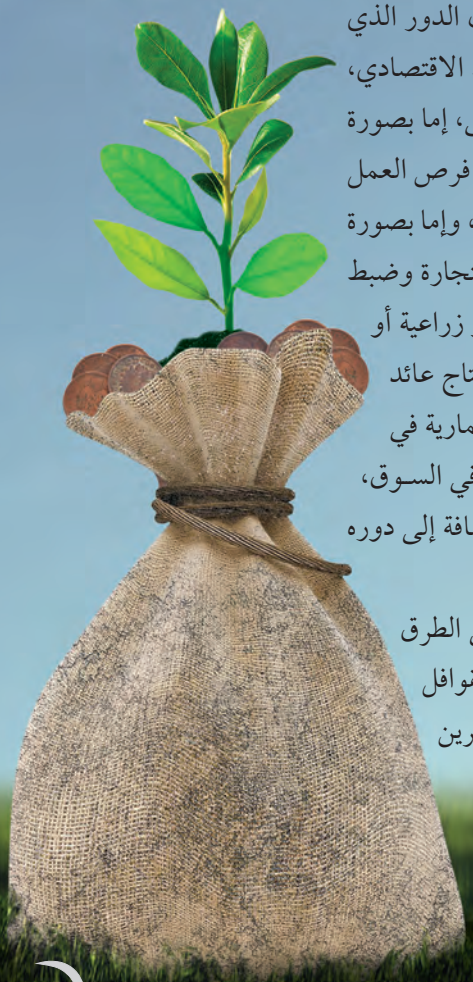

ولقد أسهمت الأوقاف في تنمية المجتمع وارتقائه من خلال الدور الذي اضطلعت به في تقديم الدعم المباشر وغير المباشر للنشاط الاقتصادي، فللوقف آثار اقتصادية واضحة يمكن ملاحظتها في جوانب شتى، إما بصورة مباشرة -مثل إقامة الجسور والروابط (البنى االتحتية)- وتوفير فرص العمل للآخرين ومحاولة إخراج فئات كثيرة من المجتمع من دائرة الفقر، وإما بصورة غير مباشرة وذلك -مثلاً- من خلال توفير الخدمات لرواج التجارة وضبط الأسعار. وهناك الأموال الموقوفة على استثمارات صناعية أو زراعية أو تجارية أو خدمية لا تقصد بالوقف لذواتها، وإنما يقصد منها إنتاج عائد إيرادي صاف يتم صرفه على أغراض الوقف. فالأملاك الاستثمارية في هذه الحالة يمكن أن تنتج أي سلعة أو خدمة مباحة لطالبيها في السوق، وتستعمل إيراداتها الصافية في الإنفاق على غرض الوقف، إضافة إلى دوره في توفير فرص عمل للآخرين.

وقد ساعد الوقف الذي خصص لأحواض المياه التي تقع على الطرق التجارية المهمة، في رواج النشاط الاقتصادي على هذه الطرق؛ فالقوافل التجارية في الماضي كانت تعتمد على آبار المياه لسقي المسافرين

والدواب، وبذلك أتيح لها أن تواصل سفرها وتنقُّلها بين المدن والقرى للبيع والشراء. وكانت هناك أوقاف خاصة بما يعرف بالوكالات التجارية الخارجية، فهي تعمل على استيراد السلع وانتقالها من قُطْر إلى آخر.

من جهة أخرى أسهمت الأوقاف في عملية إعادة توزيع الدخل، حيث نقلتها من الأغنياء إلى الفقراء، وبالتالي قلَّصتْ الهوَّة بين فئات المجتمع. كما برز إسهام الوقف في تنشيط الجانب الاقتصادي في عملية ضبط الأسعار واستقرارها، وذلك لأن الأسواق التي حبست عليها الأموال لإصلاحها، كانت تسهِّل على التجار الحصول على إيجارات مخفضة للمحلات التجارية، مما يساعد على أن تكون أسعار السلع أدنى من مثيلاتها في الأسواق التي لا وقف لها، فكان الإقبال أكثر على الشراء من الأسواق الموقوفة، وأدى ذلك إلى نشاط الحركة التجارية في هذه الأسواق، مما دفع غيرها إلى أن تسلك سبيلها في ضبط الأسعار حتى لا يكسد عملها.

**الوقف باعتباره مصدرًا اقتصاديًّا**

إن للاهتمام بالوقف عند كثير من الاقتصاديين اعتبارات عديدة يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

إن صفة الدوام هي أهم ما يتميز به الوقف كأصل استثماري مستديم، مثل وقف الأراضي والمباني العقارية. ولهذا يحقق الوقف مفهوم التنمية المتواصلة أو المستدامة. وهو بذلك يعني دوام أصل العين وبقاءها لتنتفع بها الأجيال وتستفيد من ثمرتها.

إن الوقف -باعتباره مصدرًا اقتصاديًّا- يحقق التنمية المتوازنة في المجتمع، لأنه يربط بين القيم الروحية (الإيمانية) والقيم المادية (الرأسمالية). فهو ليس مجرد حبس أموال وصرف عائدات غلاتها على الجهات المنتفعة، ولا تطويرًا لهذه الغلات والانتفاع منها في المجال الاقتصادي فحسب، بل هو يربط هذا الانتفاع بتكريس القيم الأخلاقية ونشرها على أساس من القوة والغنى. فلقد تكونت ثروة وقفية يمكن من خلالها إقامة مشروعات تنموية ضخمة، تستطيع الصمود والمنافسة أمام المشروعات الاقتصادية الأخرى.

يعتبر الوقف دعامة اقتصادية وتمويلية، وسياجًا واقيًا للفقراء والأيتام والمحتاجين، الذين تعصف بهم التقلبات الاقتصادية، ولهذا، فالوقف كمصدر اقتصادي يدعم تلك الفئات الضعيفة، ويخفف عنها مشكلات الفقر والمرض والجهل. والوقف من حيث كونه مصدرًا دائمًا للتمويل الخيري، يمكن أن تكون له انعكاسات إيجابية أيضًا على الأدوات المالية العامة على النحو التالي:

**انعكاسات الوقف الإيجابية على الإنفاق العام**

الوقف قد يكون أهليًّا وقد يكو خيريًّا، وفي الأول يقف الواقف ماله أو بعض ماله على نسله وذريته وأقاربه، وفي هذه الحالة يضمن الموقوف عليه مصدرًا ثابتًا ومستمرًّا للإيراد، وعن طريق الوقف لا يمكن إجراء أي تصرف ناقل لملكية المال الموقوف بصفة مؤبدة بعد لزوم الوقف. وعلى ذلك فإن الوقف الأهلي يحفظ على الواقف وعلى أقاربه المال ما بقي هذا المال وما بقي المستحقون للوقف، ومن المعلوم أن الواقف يجوز له أن يشترط لنفسه كل أو بعض منافع الوقف أثناء حياته، أو يشترط لنفسه النظارة عليه أيضًا أثناء حياته، وقد يكون في الوقف درءًا لمخاطر الحاجة عن الواقف في أواخر حياته.

ولما كان الوقف -على النحو المتقدم- يضمن للواقف وذريته دخلاً ثابتًا ومستقرًّا على مدى الزمن الطويل القادم بعد لزومه، فإنه قد ينعكس إيجابًا على حجم النفقات العامة التحويلية المتمثلة في معاشات الضمان الاجتماعي والمساعدات والمنح التي تقدمها الدولة لمواطنيها الفقراء. وكذا الحال فيما لو كان الوقف خيريًّا على الفقراء والمساكين، حيث يضغط ريعه من حجم النفقات التحويلية التي يمكن للدولة أن تقدمها لهم فيما لو لم يحصلوا على هذا الريع، أما لو كان الوقف خيريًّا على إحدى جهات النفع العام، فإنه يمكن استخدام الريع الناتج عنه في عمليات التجديد والتحديث والتطوير للجهة الموقوف عليها، فضلاً عن إمكانية استخدامه في تسيير هذه الجهة، وذلك بما يغني الدولة عن إجراء النفقات العامة اللازمة لتجديد وصيانة وتسيير وإدارة هذه الجهات أو المرافق العامة.

**انعكاسات الوقف الإيجابية على موارد الدولة العامة**

لا شك أن الوقف حين ينعكس إيجابيًّا على الإنفاق العام

hiragate.com


hiragate.com

بضغطه، فإنه -وبالتبعية- سوف ينعكس على الموارد العامة في مجملها بالوفرة وإحداث فائض لها في ميزانية الدولة.. وهو الأمر الذي قد ينعكس -وبالتبعية- على العبء الضريبي الفردي والقومي، حيث لن تقوم لدى الدولة حاجة لفرض مزيد من الضرائب والرسوم لمواجهة الإنفاق العام المتزايد على افتراض إلغاء دور الوقف في ضغط حجم هذا الإنفاق، بل ربما يكون هناك مبرر قوي عند وجود الوقف وأدائه لدوره في ضغط حجم الإنفاق العام، لخفض العبء الضريبي عن كاهل المواطنين، وفي هذه الحالة فإن الوقف يمكن أن يؤدي دورًا غير مباشر في الادخار والاستثمار الخاص.

**الوقف في تاريخ مصر الإسلامي**

تتزايد أهمية الوقف والحاجة إليه في العصر الحاضر يومًا بعد يوم مع تزايد الطلب على الخدمات العامة وتنوعها من جهة، وعجز السلطات عن مواجهة هذه الطلبات من جهة أخرى.

إن بلادنا العربية والإسلامية اليوم في حاجة إلى إحياء دور الوقف الذي كان له تلك الإسهامات العظيمة والآثار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتنوعة، حيث أسهم في التقدم العلمي والتكنولوجي، وفي توفير الخدمات الأساسية من صحة وإسكان وعلاج وغيرها.. علاوة على الأثر المالي الهام على ميزانية الدولة وتخفيف الكثير من الأعباء عنها.

ولقد عرفت مصر نظام الوقف منذ أن أشرق على أرضها نور الإسلام، وأقام أهلها مؤسساته المختلفة طلبًا للمغفرة والرضوان، ورغبة في الأجر والثواب، وتحقيقًا لمصالح عامة ومقاصد كلية أعطت للمجتمع قوة وحياة، ومدته بروافد كثيرة أقامت حضارة، وحملت عن الدولة أعباء جسيمة، وقدمت خدمات جليلة للناس، وتحركت في كل المجالات.

ويرجع تأسيس أول ديوان للأوقاف في مصر إلى عهد الأمويين، الذي يعد أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب بل في كافة أنحاء الدولة الإسلامية.ومنذ ذلك الحين تطور نظام الوقف واتسع نطاقه وازداد إقبال الناس عليه، واجتذب أعدادًا كبيرة شملت السلاطين والأمراء

**الوقف يحقق التنمية المتوازنة في المجتمع، لأنه يربط بين القيم الروحية والقيم المادية، وهو ليس مجرد صرف عائدات غلاتها على الجهات المنتفعة، بل هو يربط هذا الانتفاع بالقيم الأخلاقية ونشرها على أساس من القوة والغنى.**

وكبار رجال الدولة والأثرياء والتجار والصناع وغيرهم.

وازدهر نظام الوقف في مصر وبلغ أوج ازدهاره في عصر المماليك، وهو العصر الذي يمثل القوة والثراء والعطاء الحضاري في تاريخ مصر في العصر الوسيط. وتسابق إليه كثير من السلاطين والأمراء والتجار، لينهضوا بالمجتمع، حيث أقاموا المؤسسات التعليمية والمساجد والمستشفيات والأسبلة وغيرها، وحبسوا عليها الأوقاف التي تمكنها من تحقيق رسالتها.

ونظرة واحدة على خريطة الوقف في مصر الجغرافية والشعبية في عهوده الزاهرة، تكشف تعاظم الدور الذي كان يلعبه الوقف في حياة الأمة. فنظام الأوقاف في مرحلة الازدهار، كان إطارًا منظمًا لممارسة العديد من السياسات الأهلية التي اتسمت بالتلقائية واللامركزية والاستقلالية، وأسهمت في بناء العديد من المؤسسات الاجتماعية وتوفير الخدمات العامة في مجالات العبادة والتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية.

وتجاوز اهتمام الواقفين في مصر إنشاء المساجد والإنفاق عليها، إلى تخصيص جزء من ريع أوقافهم للإنفاق على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وخدمة الحجاج وزوار بيت الله الحرام والمسجد النبوي. وكانت الأوقاف المخصصة للحرمين لها إدارة مستقلة وميزانية خاصة. وبلغت مساحة الأراضي الزراعية الموقوفة على الحرمين نحو ٦٣٠٠ فدان، بالإضافة إلى المباني والعقارات. ومن أشهر الأوقاف التي خصصت لهذا الغرض وقف تكيَّتَي مكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين أنشأهما محمد علي لخدمة بيت الله الحرام. ■

(*) كاتب وباحث مصري.


hiragate.com

صالح القاضي*

# الحيوان طبيب نفسه

تإننا نعيش في عالم يسكنه قرابة ٨,٧٠٠ ألف نوع من الحيوانات، بل هذا الرقم يشمل أنواع الحيوانات الرئيسية فقط ولا يحصي الأنواع الفرعية، بالإضافة إلى حوالي ٢,٥٠٠ نوع جديد يتم اكتشافه سنويًّا من قِبل العلماء الباحثين في أماكن مختلفة من الكرة الأرضية.

هذا وقد وُهب كل نوع من أنواع الكائنات الحية جسمًا وأعضاء ونظامًا تمكّنه من البقاء على قيد الحياة، وتساعده على حماية نفسه من الأخطار التي يتعرّض لها. وكذلك مُنحتْ هذه المخلوقات قابليات تستطيع من خلالها مداواة نفسها. عندما يصاب الإنسان بمرض

ما، يسارع إلى الطبيب للكشف عن مرضه، وبالمقابل يسعى الطبيب إلى علاجه وفحصه لتشخيص المرض.

ولكن ماذا تفعل الحيوانات في الغابات والصحاري عندما تصاب بمرض أو جرح؟ وهل لديها أطباء تداويها؟ وكيف تَجد ملايين الأنواع من الحيوانات العلاج المناسب لأمراضها وكيف تتداوى؟

قد تظن ببساطة أن الحيوانات المريضة ليس أمامها خيار سوى العيش بأعراض أمراضها، ولقد أشرنا في مستهل مقالنا إلى أن كل كائن حي يتمتع بنظام يمكّنه من استدامة حياته بنفسه، ويتحلى بآلية تساعده على التأقلم مع البيئة التي يعيش فيها.. أجل، لقد زوّد الله كل كائن بجسم له خصائصه التي تمكّنه من دفع الأذى عن نفسه، وقد اكتشف الإنسان مؤخرًا أمرًا أثار عنده الدهشة والإعجاب؛ وهو أن الحيوانات تستخدم بعض النباتات ذات الفوائد لمعالجة أمراضها بنفسها.

في العقود الأخيرة، ازداد الاهتمام بالمنتجات العشبية؛ كأوراق الجوز، وقشرة اليوسفي، وساق الكرز، والجرينادين الأحمر، وجذر الكرفس.. من أجل إيجاد علاج للأمراض المختلفة. هذا وقد نجح الإنسان من خلال أبحاثه العلمية، في اكتشاف بعض النباتات التي تحتوي على خصائص شفائية، مثل الترمس، وكواسيا، والخشب المر، والشوكران، والورد، والهيبين، وجذر الشمر العملاق، والفستق، والراتنج، وزيت التربنتين، والصنوبر، والهدال، والكمون، والكركديه، وزهرة الكركديه، والكانيت، وإليجني، والكافور، والهيل، ونبتة سان جون، واللافندر الفرنسي، وبذور الكتان، وزيت بذر الكتان، وشجرة الحناء، وغيرها من الأعشاب.. لكن المحير في هذه المسألة، أن الحيوانات -ومنذ فجر التاريخ- تستعمل هذه النباتات العشبية، وتعرف خصائصها الدوائية.. فهي مزودة بأجهزة تمكّنها من العيش في أقسى وأصعب الظروف، وإليكم بعض الأمثلة:

### خبير المضادات الحيوية

بارتفاع يصل إلى خمسة أمتار، تعدّ الزرافة أطول حيوانات كوكبِ الأرض. ولقد قام العلماء بدراسة الروائح التي تنبعث من الزرافة، فوجدوا إحدى عشرة مادة كيميائية

بيضاء مكاو

مختلفة تكمن في فروة هذا المخلوق، وأدركوا أن هذه المواد الكيميائية هي مضادات حيوية، وتزداد هذه المواد فاعليةً عندما تتحد فيما بينها.. بينما نحن البشر لا نستطيع استخراج مثل تلك المضادات الحيوية إلا بعد عمليات معقدة داخل المعامل على أيدي المتخصصين في علم الكيمياء.. ولكن الزرافة منذ أن خُلقتْ تستعمل تلك المضادات الحيوية لتحمي نفسها من البكتيريا والفطريات، وتصد هجمات حشرة القراد، وتمنع نمو الجراثيم في جسمها.. من أين أتقن هذا المخلوق -الطويل القامة- علمَ الكيمياء فأنتج موادًّا مضادة حيوية؟

### الطبيب العنيد

يعد الوعل أحد أنواع "تيس الجبال" في كلٍّ من تركيا وإيران، وتركمانستان، وباكستان. ويرتدي الوعل معطفًا من الفرو متعدد الألوان بين الأسود، والبني، والرمادي، والذهبي، والأبيض.. ويملك ذكر الوعل والأنثى قرونًا ولحية. يسمى "الوعل" في اللغة الفارسية باسم مرادف لكلمة "علاج"، وقد أطلقت عليه هذه التسمية، لأن السكان المحليين لاحظوا أنه متى ما لدغته الثعابين بسمّها الزعاف، هرع ليأكل نبات "الفربيون".. ولما

نبات الفربيون

قام العلماء بإجراء أبحاث حول هذا النبات، وجدوا أنه (الفربيون) يحتوي على مكون يدعى "يفروبون"، والعجيب أن هذه المادة تقوم بعكس تأثير السموم بصورة سحرية، ولذلك عندما يصاب "الوعل" بسمّ الثعبان، يُسرع بالبحث عن نبات الفربيون بين الأعشاب والنباتات، ليعالج نفسه بها مجانًا.

### خبير الغوص في الأعماق

الغواصون الذين يصعدون بسرعة إلى سطح الماء، يمرون بتجربة في غاية الخطورة قد تودي بحياتهم، فما يعانوه من آلام في الصدر لا يحتمل، إذ في حالة الصعود السريع يتحول الغاز الخامل إلى فقعات هوائية في مجرى الدم وفي الأنسجة، وهو ما يعدّ أمرًا خطيرًا قد يؤدي للشلل والموت. ولكن كيف لملايين الكائنات التي لا تملك أنابيب الأكسيجين أن تعيش مدى الحياة في البحر دون أن تعاني من تلك المخاطر؟

إن الدلافين والحيتان، يغوصان في أعماق البحار والمحيطات، ويصعدان بسرعة كبيرة إلى سطح الماء دون أيّ عائق أو صعوبة، بينما رئة الإنسان لا تحتمل الضغط في تلك الأعماق السحيقة أبدًا.. علمًا بأن القصبات الهوائية والحويصلات الهوائية في رئتي الدلافين موضوعة داخل غطاء خاص، لتتجنب معاناة الانحناءات.. وتطلق الدلافين كل الهواء الموجود في رئتيها قبل الغوص إلى الأعماق. لكن كيف تتنفس؟

### سمٌّ للبعض طعامٌ للآخر

"ببغاء مكاو" الذي يتخذ من مناطق أمريكا الاستوائية موطنًا له، يبلغ عرض جناحه ٨٠ سم، وهو حيوان قوي ومعمر؛ إذ يمتد عمره إلى ستين عامًا. العجيب أن ببغاء مكاو يتغذى على النباتات التي تنتج مادة "الإستركنين" (C21H22N2O2)، وهي مادة شديدة السمّية تنتجها بعض النباتات لِتُبعد الأعداء عن نفسها، فكيف لمادة تقتل بعض الكائنات أن تصبح مغذّية للأخرى؟ العجيب في الأمر، أن الببغاء بعدما يأكل هذه النباتات المغذية والسامة، ينطلق إلى مناطق المنحدرات الصخرية ويبتلع طينتها الصخرية، ولا شك أن ابتلاع الببغاء لهذا الطين يعدّ تصرّفًا مثيرًا للانتباه.

ولقد تبيّن سبب ذلك بعد دراسة معمقة حول أصل العضلات؛ فوجدوا أن نسبة توفُّر بروتين اليغلوبين لدى الببغاء أعلى بكثير مما لدى البشر، وأن هذه البروتينات تحتوي على كميات فائقة من الأكسيجين، وبالتالي فهذه الكميات توازي الكمية التي تستهلكها الدلافين والحيتان في الغوص إلى أعمق مكان يمكن الوصول إليه في المحيط.

وبعد أبحاث حول ظاهرة بلع الطين الصخري لدى ببغاء مكاو، تبين أن الطين الصخري يحتوي على مادة تدعى "كاولينيت" (Al2O3.2SiO2.2H2O)، وتتميز هذه المادة بأنها تمتص السمّيات من البذور، مما يُمكِّن المكاو من التغذي على البذور السامة دون أيّ ضرر. من المستحيل أن يكون ببغاء مكاو درس مكونات الطين الصخري، وعرف أن أكل الطين الصخري يقضي على تأثير السميات؟

### كائن لا يتجمد

خنفساء القطب الشمالي تنجو بنفسها رغم الطقس الزمهريري للقطب الشمالي، الذي يعدّ طقسًا تصعب

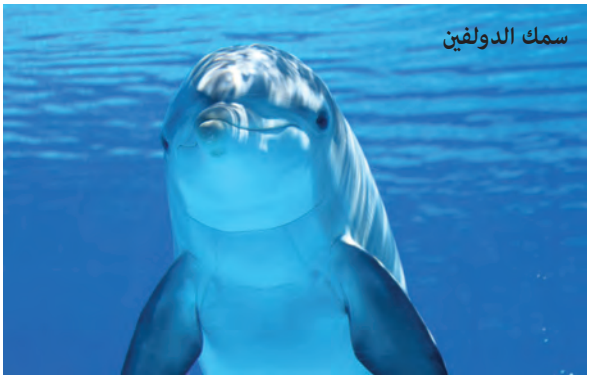

سمك الدولفين

الحياة فيه، والفضل يرجع في ذلك إلى مادة كحولية يفرزها جسمها وتعمل مضادًّا للتجمد. أجل، إن جسم خنفساء القطب الشمالي يقوم بإفراز مادة كحولية تسمى "الجليسيرول" (C3H8O3) لمنع تجمد الدم والخلايا والأنسجة الرطبة في داخلها، ووقاية نفسها من تسرب البرودة المميتة إلى خلاياها.

والعجيب أنه كلما قصر اليوم واشتدت البرودة زادت مقاومة جسم الخنفساء للتجمد، فبانخفاض درجة حرارة الجو تنخفض نسبة الماء مباشرة داخل جسمها، وتبدأ تنتج مواد كحولية مثل الجلسيرول والسوربيتول وبكميات كبيرة. يقول الباحثون المتخصصون إن هذا الكائن العجيب يستطيع أن يعيش في درجة حرارة تصل إلى ٨٧ درجة. أمرٌ لا يستوعبه العقل، فكيف لحشرة بسيطة أن تنتج مادة معقدة التركيب (C3H8O3) لتحمي نفسها من البرد القارس؟ ومن الذي علمها هذا؟

## خبير الإشعاع

لقد قام العلماء بفحص عقربٍ نجا من اختبار قنبلة ذرية، لكن لم يجد العلماء جوابًا شافيًا حول كيفية نجاة هذا الحيوان، بعدما أُمطر بالمواد المشعة التي قتلت كل الكائنات الحية. لاحظ العلماء أن العقارب التي تعيش على ظهر البسيطة منذ ملايين السنين، تعدّ كائنات أحفورية، والفضل في ذلك يرجع لنظامها البنيوي الذي حماها عبر ملايين السنين من فاجعات هي أكبر من القنبلة الذرية بآلاف المرات، مثل الانفجارات الشمسية الضخمة التي تصدر معها إشعاعات غاية في الخطورة تستطيع القضاء على أشكال الحياة المختلفة، لكن العقارب نقلت مزايا بنيتها عبر آلاف الأجيال إلى أحفادها.

دب الماء

خنفساء القطب الشمالي

## كائن لا يشعر بالبرد

إننا نتحدث عن "التاردجراد" دب الماء، وهو واحد من الكائنات الحية التي تقاوم أعتى الظروف المناخية. وهو بحجم رأس الدبوس. هذه الكائنات المجهرية تملك خراطيم في فمها، ولديها عقل وعينان، ونظام للهضم، ولكن لا يوجد لها قلب ولا رئة. وحتى الآن اكتشف العلماء ٦٠٠ نوع فرعي من هذا الكائن العجيب. يتغذى "التاردجراد" على الطحالب والأشنات، ويستطيع العيش تحت أي ظرف من الظروف المناخية بما فيها المناخ الفضائي؛ فقد ظل ينعم بالحياة تحت تأثير درجة حرارة ١٢٠ سيليزيس، وتحت معدل ضغط قدره ١٠٠٠ أتموسفير.

ففي الأجواء الجافة تقوم هذه الكائنات بتقليص حجمها من خلال تبخير الماء الموجود بأعضائها، وخلال هذه العملية تفقد كلَّ الأكسيجين الموجود بجسمها؛ لتقلها الرياح كيفما تشاء، وعندما تحط في مكان رطب فإنها تنتعش وتعود للحياة من جديد كأن شيئًا لم يحدث. ووفقًا للعالم "إنجمر جونسون" من جامعة كرستيانستادت بالسويد والمتخصص في دراسة الكائنات الحية، فإن بقاء هذه الكائنات حية حتى في ظل ظروف مناخ الفضاء الخارجي، يعدّ لغزًا محيرًا بحد ذاته.

إن الحيوانات تقوم بأعمال تحيِّر عقول البشرية.. وكأنها متبحرة في علم الكيمياء، وغيره من العلوم التي توسِّع آفاق الإنسان، وتساعد على اكتشاف أسرار الكون الشاسع وخفاياه التي لا تعدّ ولا تحصى، ومن ثم يدرك حقيقة الخلق والوجود الذي يحيط به. ■

---

(*) كاتب وباحث مصري.

عبد العزيز الإدريسي*

**إنّ نعمة تبعد العبدَ عن ربه أعظم مصيبة يمكن أن يبتلى بها.**
**اِربطْ كل شؤونك بمرضاة الله، اضبط بوصلة قلبك في اتجاه رضاه تستقم أمورك، وتَنجُ من مخاطر النقم المبطَّنَة في النعم.**

الموازين

# الإصلاح في عالم المسلمين

١ استمر الحديث عن الإصلاح وبشكل ملح عبر مسيرة الأمة الإسلامية، سواء في مراحل القوة والازدهار أو في مراحل الضعف والانهيار والانحطاط، وارتبط أساسًا في القرون الأولى والوسطى بمعاني التجديد والاجتهاد والإحياء، ارتباطًا مباشرًا ووثيقًا بالمرجعية العليا للأمة.

تستعرض الكاتبة الألمانية "زيغريدرهونكه" في كتابها "شمس الله تسطع على الغرب" بطريقة ذكية وجميلة، أهم منجزات الحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه لم تستعرض بعمق أهم عوامل

النهوض وأخطر أسباب الجمود والتخلف إلا بعد أسئلة ملحة ومكررة من طرف كبار العلماء والمفكرين والمهتمين وعموم القراء والمتابعين.. عقدت لذلك محاضرة في أحد المؤتمرات العلمية، فذكرت ما يلي:

أهم العوامل الرئيسة التي نهضت بالأمة إلى ذروة الحياة الحضارية:

- دراسة لغة القرآن وتعلم القراءة والكتابة بالنسبة لجميع المسلمين.
- المهام التي يفرضها القيام بفرائض الدين مثل الفلك والرياضيات والنظافة والصحة.
- التعاليم والإرشادات الصادرة عن الرسول ﷺ والتي تحفز على طلب العلم ودراسته.
- استيعاب المعرفة الموجودة.
- شرح النصوص اليونانية والهندية وتحقيق مدى صحتها والتعليق عليها.
- وجوب تحصيل العلوم غير الإسلامية واتخاذها سلاحًا للدفاع عن الإسلام.
- التشجيع على مواصلة البحث الذاتي وتدريب الملكات الفكرية.
- توسيع الآفاق عن طريق الهجرة والرحلات والمبادلات.
- الجو السائد في مجال حرية الرأي والتسامح بوجه خاص.

وأما أهم العوامل التي أدت بالأمة الإسلامية إلى الجمود والانحطاط فهي:

- الغزاة الأجانب الذين اندمجوا في الحياة الإسلامية.
- الحروب الصليبية وحروب المغول.
- التعصب وتقييد الحركة الفكرية.
- شيوع الفكر الخرافي الذي تسبب عنه الخضوع والاستسلام.
- عبادة الماضي والإيمان بالغيبيات (على حد تعبير الكاتبة).

**إن تجديد الخطاب الإسلامي ليس متوقفًا على تجديد ألفاظه ورسومه وحدوده، بقدر ما هو متوقف على إحداث التغيير المطلوب على مستوى بنياته الفكرية والتربوية والعلمية.**

حراء

- المد الاستعماري الذي ظهر فيما بعد، كالاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي.

بيد أن الأمة الإسلامية لم تستفق من غفلة عصور الانحطاط، إلا على كابوس وصدمة الاستعمار الغربي، الذي احتل مساحات واسعة من أراضيها، وأظهر تفوقًا كبيرًا في الجوانب العلمية والعسكرية والتنظيمية والإنجاز الحضاري عمومًا.. فكانت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، فترة التساؤلات الحضارية الكبرى من طرف المفكرين والمثقفين، خصوصًا مع تزاحم أطروحات الإصلاح وتعدد المدارس الإصلاحية.

وكان لصدمة الاستعمار الأثر البالغ في تحفيز وتحريك همم المصلحين والتفكير في آليات الانعتاق من ربقة الاستعمار، وذلك عبر اقتراح مشاريع ومقاربات للإصلاح الداخلي والتحرر الخارجي من هيمنة الغرب: "وتشهد على هذا، أعمال محمد عبده وأحمد خان -على سبيل المثال- فإنها في الوقت نفسه خاضت معضلة الإصلاح المثير للسجال مع الغرب، بينما نلاحظ أن الإصلاح ما بعد الكولونيالي في الحقبة المعاصرة لنا، تجلى -من الناحية المبدئية على الأقل- معينًا أساسًا وبشكل مباشر، بالإصلاح الداخلي وبمسألة إعادة البناء. من ناحية أخرى نجد -بسبب هذا الفارق القائم بين الوضعين- أنه بإمكان الحداثة الكلاسيكية أن تبدو جزئية وغير ممنهجة، بل وبطيئة الحركة؛ لأنها على الصعيد النظري كانت في المقام الأول "دفاعًا عن الإسلام"، بمعنى أنها اختارت أن ترد على تلك المسائل التي كان النقاد الغربيون قد طرحوها.

hiragate.com

أما من الناحية العملية فقد بدا واضحًا أن إلحاحية الوصول إلى إصلاح سريع ومنهجي، كان من العسير الإحساس به بسبب عدم وجود مسؤوليات ملموسة ونهائية تتعلق بمسألة حل المعضلة المطروحة".

إن الفشل الذي ألمَّ بمشاريع الإصلاح التي باشرتها الحكومات والأنظمة -بعد صدمة الاستعمار- دفعت الرُّواد الأوائل إلى طرح جملة من الأسئلة المركبة من أجل إدراك عوامل هذه الإخفاقات، والتي نجم عنها خيبات أمل متتالية، يقول راجي إسماعيل الفاروقي: "أما مساعي الإصلاح التي قامت بها حكومات الدول القومية في العالم الإسلامي -سواء كانت ملكية أم جمهورية، ديكتاتورية أم دستورية، في عصر ما يسمى "ما بعد الاستعمار التقليدي"- فقد كانت في معظمها بناء صروح على رمال، ذلك أن قبلة دعاة تلك المحاولات الإصلاحية -حتى المخلصين منهم- انصبت على المتطلبات المادية للأمة، وتغافلت عن احتياجاتها الروحية مع أنها هي الأهم. فكانت النتيجة أن تلك الحركات زادت المجتمع الإسلامي خبالاً".

نجد أمير البيان "شكيب أرسلان"، من المثقفين الأوائل الذين طرحوا مثل هذه الأسئلة المقلقة، والمنبثقة من همٍّ إصلاحي ورؤية نهضوية في مطلع القرن العشرين؛ لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ وهذا السؤال قديم حديث، لأنه شغل عقل ونمط نظام التفكير الإصلاحي.

ولقد كان لسقوط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة وتفككها سنة ١٩٢٤م الأثر البالغ في اجتراح أسئلة النهضة والإصلاح والبناء، والبحث عن أسباب السقوط ومداخل الإصلاح ومنهجيات التجديد، وآليات الاستئناف الفكري والتربوي والسياسي والاجتماعي لدى العديد من المفكرين والمصلحين، من أمثال الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٩٦٠م)، والشيخ مصطفى صبري (ت ١٩٥٤م)، والشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٩٥٢م)، والشيخ سعيد بيران (ت ١٩٢٧م)، وغيرهم من علماء المشرق والمغرب، الذين اختلفت مقارباتهم وتنوعت وسائلهم لكن توحدت مقاصدهم ومراميهم.

لم تكد صدمة سقوط الدولة العثمانية تنقشع من عالم المسلمين وقتئذٍ، وما استتبعها من انهيارات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية وعسكرية.

هذا الوضع المأساوي الذي أضحت تعيشه أمة المسلمين، دفع بالمفكرين والمصلحين إلى طرح أسئلة الإصلاح من جديد، بل والعمل على تطويرها؛ فنجد الشيخ أبا الحسن الندوي في منتصف القرن العشرين، ينطلق من قناعة مفادها أن المسلمين قدموا للبشرية حضارة راشدة تحترم كرامة الإنسان، وتحقق له السعادة في المعاش والمعاد، فكان سؤاله: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ وهذا السؤال يستبطن حالة نفسية ووجدانية، مفادها أن جيل الشيخ أبي الحسن الندوي، كان يعيش مفارقة صارخة بين نصوص الوحي وواقع المسلمين المرير، وهو السؤال نفسه، ولكن بصيغة أخرى الذي اجترحه بعمق فلسفيّ الرئيسُ "علي عزت بيجوفيتش" سنة ١٩٦٧م: ما سبب تخلف المسلمين؟

ولعلَّ من بين أهم التحديات التي واجهت مشاريع الإصلاح المعاصرة إلى نهاية القرن العشرين، ما كان يرتبط بالنموذج الإصلاحي ذي المرجعية الاشتراكية والخلفية الشيوعية بكل تمظهراته وروافده ومخرجاته، غير أن سقوطه بعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي والاشتراكي، حيث انطلق بالثورة البلشفية بقيادة "لينين" في أكتوبر سنة ١٩١٧م، واستمر حتى تولي "غورباتشوف" السلطة في عام ١٩٨٥م وطرحه نظريته المسماة بإعادة البناء (البروسترايكا)، إلى أن انتهت فترة حكمه في ٢٤ أغسطس سنة ١٩٩١م، حيث أزال عن كاهل الحركات الإصلاحية في عالم المسلمين ثقلاً كبيرًا وتحديًا فلسفيًّا و سياسيًّا وثقافيًّا وفكريًّا بل ووجوديًّا.

واستمر طرح هذا السؤال الإشكالي بأبعاده الحضارية ومضامينه المعرفية والمنهجية بصيغ أخرى؛

hiragate.com

فالدكتور محمد سعيد رمضان البوطي -وإن اعتبره سؤالاً سطحيًّا- فقد نبّه على خطورة الإجابة السطحية والارتجالية عندما تساءل: لماذا تحجرت الحضارة الإسلامية وازدهرت الحضارة الغربية؟

وأعيد طرح السؤال من جديد -وبإلحاحية أشد- مع حدثين كبيرين، الأول أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وما ارتبط بها من تداعيات على العالم عمومًا وعلى العالم الإسلامي خصوصًا، من حيث ضرورة إعادة النظر في الأسس المرجعية المؤطرة للخطاب الإصلاحي تحت طائلة المتابعة بتهمة الإرهاب الجاهزة.

أمّا الحدث الثاني فهو ما اصطُلح عليه بـ"الربيع العربي" أو الحَراك الديمقراطي، والذي انطلقت شرارته الأولى من تونس سنة ٢٠١٠م وانتشر في أغلب الدول العربية، غير أن مآلات هذا الحَراك دفعت بالمثقفين والمفكرين إلى اجتراح أسئلة النهضة والإصلاح من جديد، مستحضرين التجارب السابقة ومستشرفين مستقبل هذه الأمة. وهذا الأمر يؤكد من خلاله الدكتور محمد جكيب بأنه "من الخطأ تجزيء قضية الإصلاح والنهضة والانبعاث، والنظر إليها على أنها قضية جزر وأقطار منفصلة عن بعضها البعض ليس بينها ما تشترك فيه وما تلتقي عنده، بل النظر إليها من زاوية ضيقة كالزاوية القُطرية أو القومية".

في هذا الخضم انبعثت رؤى ومقاربات أخرى للإصلاح والنهوض الحضاري، تتمثل أساسًا في الدعوة إلى تجديد المدركات الجماعية، وضرورة الانطلاق من القيم الذاتية في استصحاب خلاَّق لمنجزات التجارب الإنسانية. وفي توجيه حضاري عميق ونقد مقارن إصلاحي ذكي ودقيق يقول الأستاذ محمد فتح الله كولن في كتابه "ونحن نبني حضارتنا": "إن ما فعلناه في تاريخنا القريب هو الكدح في بناء حضارة فوق إنجازاتها السابقة وأنعُمها وثمراتها، أما اليابان وأمثالها من البلاد المتقدمة، فقد أقامت كل شيء على الفكر الحضاري والمفاهيم والسلوكات الحضارية".

والأستاذ محمد فتح الله كولن لا يقف عند النقد النظري، بل يقدم نظرية في الإصلاح والانبعاث الحضاري تستجيب لتحديات المرحلة، يقول في الكتاب نفسه: "...إذن علينا أن نبحث عما نأمله لغدنا، في نقطة تتلاقى فيها البيئة الصالحة وعشق العلم وعزم العمل والبحث المنهجي، فإذا ما أثارت البيئة الصالحة العشق العلمي وألهبت العزائم على السعي والإنجاز، فستشعر القلوب الحساسة بذلك في أعماق كيانها بعملية امتصاص خارقة، ثم تقومه، ثم تضعه موضع التنفيذ في إطار منهجية معينة، وبعد ذلك تعمل "الدائرة الصالحة" للارتقاء بالإلهامات، وتداعيات وتركيبات وتحليلات جديدة تعقبها -باستمرار واطراد- الجهود الفكرية والنظم المنسجمة مع مقوماتنا الذاتية والمتوافقة مع رؤيتنا ومبادئنا الحضارية".

وفي خاتمة دراسة عميقة ومطولة للدكتور رضوان السيد تحت عنوان "الإصلاح الإسلامي المفهوم والآفاق"، يطرح التساؤل الآتي: "هكذا تنتهي سلسلة من الأحاديث المتصلة عن الإصلاح الإسلامي، برسم مخطط له وحسب، بعد أكثر من قرن وربع القرن على البدء بالتفكير فيه: فهل هذا فشل أم أمل؟

في غضون ذلك ارتبطت بمفهوم "الإصلاح" مفاهيم أخرى جديدة من قبيل النهضة والانبعاث والبعث، والتغيير والصحوة، والقابلية للاستعمار، والتحرر، والتقدم والتنمية.. هذا التنوع راجع بالأساس إلى اختلاف المرجعيات المؤطرة للأطروحات الإصلاحية والنظريات التغييرية، هذه المفاهيم تحتاج دراسة وتحليل ونظر وتجديد، "لأن تجديد الخطاب الإسلامي ليس متوقفًا على تجديد ألفاظه ورسومه وحدوده بقدر ما هو متوقف على إحداث التغيير المطلوب على مستوى بنياته الفكرية والتربوية والعلمية، والتي بها يحصل تجديد الخطاب عمقًا لا سطحًا، ويتميز عن غيره من الخطابات الدعائية التي تثير من الضجيج أكثر مما تقدم من البناء". ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

د. ناصر أحمد سنه*

# هل ستقضي الروبوتات على إنسانيتنا؟

تقوم الروبوتات الصناعية بأعمال هندسية ثقيلة وتجميع فني في مصانع السيارات والحافلات والأجهزة الإلكترونية الدقيقة، كما وُظفت في عمليات خطرة كالتعامل مع المصبوبات الساخنة؛ في المسابك وورش الحدادة والمكابس.. إلخ، وإدخال قطع التشغيل إلى الآلات الخطرة، وبذلك تقتصر مهمة الإنسان على التشغيل والبقاء في أمان. وهناك روبوتات

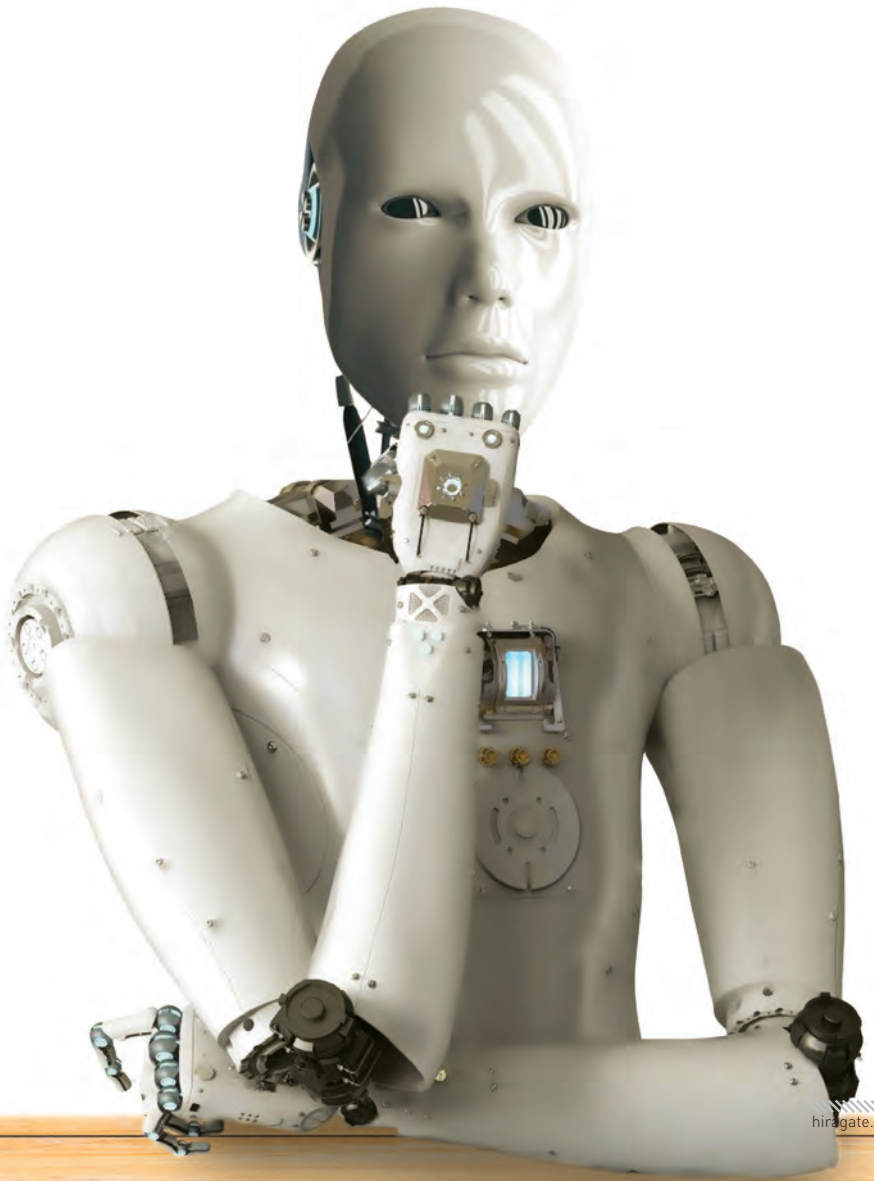

الموانئ ومراكز الشحن التي تلتقط البضائع وتملأ الشاحنات، والروبوتات الزراعية التي تحرث وتبذر وتحصد وتعبئ وتغلف وتشحن.

أما روبوتات الخدمة العسكرية فوحدات مسلحة من رجال آليين، وطائرات دون طيار، وآليات أخرى تساهم في كفاءة الجيوش والطائرات والأساطيل، وهي قادرة على توجيه ضربات نوعية وتقليل الخسائر البشرية عبر تسهيل عمل فرق مكافحة الإرهاب، وتفكيك القنابل والألغام الأرضية والبحرية. ويشبه الروبوت "أطلس" البشر، لكنه بقدرات خاصة ملائمة لمهام البحث والإنقاذ والعمليات العسكرية المحدودة؛ فتراه يجري على الأسطح المتنوعة، ويتحرك بمرونة فائقة، ويتفاعل مع محيطه تلقائيًا وليس عن طريق رسم خريطة لتحركه مسبقًا. وذلك بوساطة كاميرات مستشعرة ورادار يعمل بأشعة الليزر. وعبر مياه البحر المتوسط، يوجد الروبوت "إميلي"، يسعى لإنقاذ اللاجئين والفارين من ويلات الحروب (النظامية والأهلية)، ولديه القدرة على استشعار/تحديد موقع الأشخاص الذين يصارعون الغرق في البحر، ومن ثم التشبث بهم لإنقاذ أرواحهم. وعمل على تطوير هذا الروبوت/ الغواصة، مركز بحوث "الروبوتكس" في جامعة (A&M) بـ"تكساس" في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتسابق المختصون في تطوير روبوتات بأرجل عنكبوتية -أو دواليب دوارة أو مزيج بينهما- تستطيع السير بسهولة فوق تضاريس سطح القمر أو المريخ، ولتنجز ما يوكل إليها من مهام بحثية فضائية. أما الروبوتات الطبية فتقوم بإجراءات طبية وجراحية عبر تنظير البطن في كل التخصصات. ولقد غيرت "الجراحة الروبوتية" مفهوم "علم وفن" الجراحة التقليدية، فلم يعد يقتصر على علاج الأمراض -كليًا أو جزئيًا- بالأيدي البشرية أو الطرق العملياتية، بل تجاوزها لتلك الأيدي الآلية، مما دشن "لعولمة الجراحة"، حيث يتمكّن الجراح بإجراء عملية لمريض، أو تدريب آخرين، في أي مكان عبر العالم. كما سيتم زراعة الأعضاء الاصطناعية التي يُتحكم بها إلكترونيًا، وإدخال روبوتات النانو (Nanoro-bots) في أعماق الجسم، لتوصيل الأدوية إلى الخلايا المريضة وحدها، أو لإجراء تدخلات جراحية بعينها.

وفي شوارع المدن المكتظة بسكانها توجد روبوتات تنظيم المرور، ولدى بعضهم المقدرة على إعادة تجميع نفسه بصورة شبه مستقلة، عبر تصغير حجمه للمرور خلال نفق أو ممر ضيق. ويقذف الروبوت الرياضي "Drone-ovic" الكرات للاعبي التنس بطريقة تساعدهم

على إتقان الضربات القوية المؤثرة، وتدريبهم عبر إلقاء الكرات في أماكن وزوايا دقيقة تحسن من مهاراتهم.

**روبوتات عاقلة**

سباق محموم لتدشين روبوتات تعمل بنسق "العقل البشري" في معالجة البيانات، وإصدار الأوامر بناءً على الذاكرة والتجارب والخبرات المكتسبة. فبعد قيامها بأداء الوظائف العقلية التقليدية كالحسابات، يبقى تطبيق القدرات الإدراكية كالتعرف إلى الأوجه في الكاميرات، وبصمات الصوت في الأجهزة الإلكترونية، محل تطوير بحثي. ويعكف "هنري ماركرام" مدير مركز تكنولوجيا علوم الأعصاب بالمعهد الفيدرالي للتكنولوجيا في "زيوريخ"، على تصميم "عقل إلكتروني" فائق القدرة بنفس أنماط العقل البشري، حيث من المخطط امتلاكه لما يشبه ٨٦ مليون عصب حسي تعمل من خلال ١٠٠ تريليون رابط بينها، إضافة إلى تقييمها بوساطة مقاييس الأداء الحاسوبية المعروفة بـ"الفلوبس".

كما يعمل المهندس البيولوجي "كوابينا بواهين" من جامعة "ستانفورد" الأمريكية، على مشروع الكمبيوتر العصبي "نيروجريد" الذي يحاكي النشاط العقلي للمخ البشري، لكن، عبر تراسل الإشارات بنظام "الأنالوج"/ الإشارات التناظرية كالمستخدمة في موجات الراديو والتي استبدلت بالإشارات الرقمية "الديجيتال". وتتميز بالبساطة في التطبيق، وتتيح تشغيل مليون عصب بوساطة ٦ مليارات وصلة عصبية بينها. وعلى الرغم من قلة أعداد الأعصاب والإشارات العصبية في الابتكار الذي بدأ العمل به عام ٢٠٠٩، إلا أنه يستهلك طاقة قليلة مثل المخ البشري. ويبقى العامل الأهم هو فعالية تلك الأعصاب والمكونات في إتمام تكوين ذكاء يحاكي الذكاء البشري، بل ويتفوق عليه من حيث كم المعلومات والإشارات المرسلة، لتحريك الأعضاء الذي يولد رد الفعل الطبيعي.

**الروبوتات الاجتماعية**

روبوت "هوم بود" وأمثاله متعدد المهام والأنشطة، وله القدرة على التحرك ذاتيًا، وتحويل أي حائط إلى شاشة عملاقة. أما "Zenbo" فبمثابة مدير منزل ذكي وحارس أمن ماهر، ومساعد مطبخ بارع، ومصور عائلة عبقري.. يقوم بالتفاعل الاجتماعي بسهولة ومرح، إضافة إلى تشغيل الأغاني وقراءة قصص تعليمية بطريقة إبداعية. ومن المُخطط له -بحلول عام ٢٠٥٠- أن يعيش البشر في منازل كاملة الذكاء، حيث معظم تجهيزات ومستلزمات الراحة "مؤتمتة" بالكامل. وكذلك إدارة الطاقة والمياه والتسوق واستهلاك الأغذية والإمدادات والتجديد.

**العبور نحو الإنسانية**

ثمة روبوتات في اليابان تحلّ محل الشخص البار الذي يعتني بالمسنين والعجائز؛ حيث يجتهد "وكمارو" -أصفر اللون، وطوله متر، ووزنه ٣٠ كغ- من صنع شركة "ميتسوبيشي" اليابانية، في توفير الرعاية الاجتماعية البارة بالمسنين والمُعمّرين. فهو يمتلك قدرة على النطق بصوت ذكر وأنثى، والتعرف على الكلام، والتذكير بمواعيد تناول العلاج، وطلب المساعدة عند الاشتباه

في وجود مشكلة.. ويعد التفاعل التلقائي للروبوت غاية يتوق إليها علماء تطويره، لإقحامه في الحياة اليومية والتعامل مع البشر دون وسيط بينهما.

تحتل اليابان ترتيبًا متقدمًا بتطويرها جيلاً حديثًا من الروبوتات تتسم بالملامح البشرية، ويمكنها التخاطب والتفاعل مع الناس عبر برامج معقدة وتصميم بارع يمتلك بعض خصائص البشر وسماتهم الشكلية. هذا وقد أرسل الروبوت "كيروبو" إلى محطة الفضاء الدولية، ليتحدث مع رواد الفضاء في أوقات فراغهم، ويكسر إحساسهم بالعزلة والوحدة.

وقد صمم الذراع الروبوتية "جاكو" ذات الأصابع الثلاثة، لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يستخدمون كراسي متحركة، وتساعد هذه الذراع على سهولة الأكل والشرب واستيعاب الأشياء لهذه الفئة دون مساعدة خارجية، كما يمكنها تأدية ١٦ حركة مختلفة.

ويجري العالم الياباني "هيروشي إيشيجورو" أبحاثًا لتصميم روبوتات الـ"تيلينويد" المُشابه -إلى حد كبير- ملامح الإنسان، وهو تطوير لروبوتات "هيومانويد" ومنها "أسيمو". وتنفرد "التيلينويد" بتقسيمها لفئات عمرية صغيرة وكبيرة، وإلى ذكر وأنثى.

ويقول "إيشجورو": "إن تيلينويد يبدو كرأس شبه آدمي أصلع شاحب اللون. لكن بعد معالجات وإضافة اللون البشري والشعر والرموش، لا يمكن تفريقه بشبيهه من البشر، وبخاصة مع تجهيزه بالحواس اللازمة وبرمجته على ردود أفعال البشر ليكون روبوتًا تفاعليًّا يحاكيهم شكلاً وتفاعلاً. ويعد التيلينويد نسخة بالغة التعقيد من الروبوت "كيسميت" الذي ابتكر عام ١٩٩٠ في معهد "ماساتشوستس" الأمريكي للتقنية، وكان عبارة عن رأس يحمل وجه طفل يتفاعل مع البيئة المحيطة به، ويستجيب للمؤثرات الخارجية.

ويسعى علماء في جامعة "أوغسبرغ" الألمانية لاستحداث روبوتات تتعرف على مشاعر الآخرين عبر تعبيرات وجوههم. ومن ثم يتحول الإنسان الآلي المسمى Alice إلى مرافق دائم يمكنه مشاركةَ الإنسان ذكرياته. ورغم ذلك لا يحظى الإنسان الآلي بقبول كبير في أوساط بشرية، مما دفع علماء جامعة "أوغسبورغ" لبذل الجهود المكثفة ليمكنه التعرف على مشاعر البشر عبر قراءة ملامح وجوههم؛ إذ يسجّل الحاسوب إيماءات حركة العين وارتفاع زاوية الفم، إضافة إلى برنامج خاص يقوم بتقييم خمسين خاصية صوتية مثل حدة الصوت وارتفاعه. ويتم تزويد الروبوت بثمانية محركات يستخدمها للتعبير عن المشاعر عبر الوجه.

وأخيرًا، تفترض التوقعات السائدة منذ زمن أن يشمل التعداد السكاني في العالم المليارات من البشر، وأمثالهم من الروبوتات سواء بسواء. وستكون الحدود الفاصلة بين البشر والروبوتات غير واضحة. ولعل السؤال الجوهري والمصيري الذي يبحث عن الإجابة هو: هل ستقضي الروبوتات على إنسانيتنا؟ ■

---

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

د. عبد الإله بن مصباح*

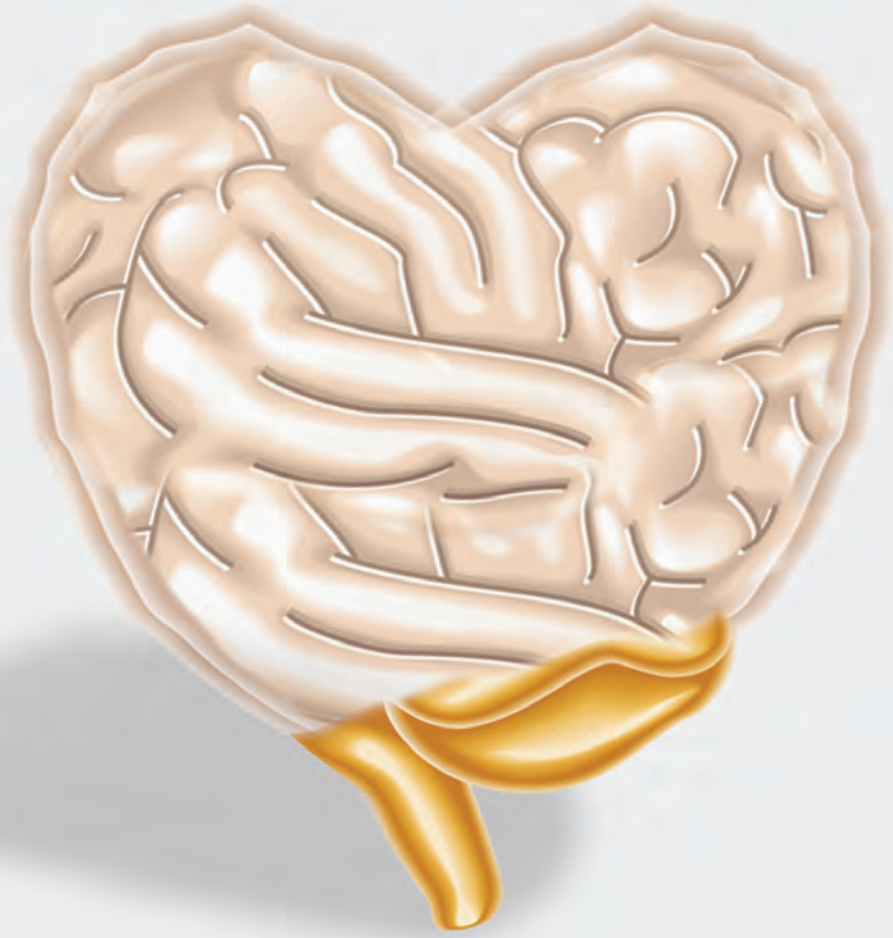

# فتح الله كولن
# والنهج العقلاني

إن اهتمام الأستاذ فتح الله كولن بتحديد قنوات التواصل العلمي والثقافي على المستوى المحلي والعالمي، وتقريب الرؤى بين العلماء والمفكرين، جعله يتبنى مشروع خدمة الكلمة الطيبة المفعمة بالعلم والحكمة، من منطلق نهج عقلاني معتمد على منهاج القرآن والسنة. وفي هذا الصدد يصرح قائلاً: "لقد تبدل تقويم الأشياء والنظر إلى الحوادث في وقتنا الحاضر تبدلاً كليًّا، فالمنطق والعقلانية في مقدمة الأمور، وقد حازتا أهمية كبرى في التقويم، حيث إن الكفر والإلحاد

يتكلمان باسم العلم والفلسفة، ومن هنا يضطر المسلم إلى مقابلتهم بالأسلوب نفسه، وهذا وثيق الصلة بمعرفة ثقافة عصره. وما العلم والعرفان اللذان لا ينفكان عن المسلم إلا هذا الأمر". وهذا كلام يحمل من التوجيهات ما تضطرنا مضامينه إلى الوقوف والتأمل، لعلنا نستخلص منه ما يمكّننا من تمثيل ديننا وحضارتنا حق التمثيل.

**العقل المدرك لعصره**

فقد قال الأستاذ كولن بهذا الصدد في معرض تبيانه لضرورة معرفة الواقع المعاصر: "إن من لا يعرف عصره لا يختلف عن من يعيش تحت الأرض، بينما المبلّغ أو الداعية يجوب في الفضاءات. وعندما يجول بين النجوم بعقله يعاين بقلبه وبلطائفه الأخرى رياض الجنان، أي عندما يحجزه عقله في المختبر جنب "باستور" ويسيّره برفقة "أنشتاين" في أعماق الوجود، تراه واقفًا بروحه بكل إجلال وتوقير أمام الله سبحانه وأمام رسوله الكريم ﷺ، فينصبغ بصبغة الله مرات ومرات في اليوم الواحد، وأعتقد أن المرشد الحقيقي هو هذا. ويكفي للإنسان أن يدرك حكمة الوجود وروحه فينسّق ما يريد أن يبلّغه وفق ذلك".

ثم يضيف موضحًا أن الأمر كان كذلك عند الصحابة الكرام، ومن تبعهم، ومن جاء بعدهم من الوارثين، مما جعل كلمتهم تحظى بقوة هائلة في التأثير. فهؤلاء كما يقول: "أدركوا مدارك عصرهم فدام تأثيرهم إلى يومنا هذا".

وهذا النهج -نهج المنطق العقلاني بإدراك مدارك العصر- كان دأب جميع الأنبياء والمرسلين، والنموذج في سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ إذ لما أراد الله ﷻ أن يقر في قلبه اليقين، سلك به سبحانه هذا النهج، فقال عز من قائل في حقه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾(الأنعام:٧٥)، ذلك بأن جعله يجول بخاطره -في خضم ما كان يطغى على عصره من تأليه للكواكب والنجوم- بين أجرام الكون ملاحظًا عظمة مكوناته ودقة نظمها. فوضع عليه السلام فرضية تأليه الكواكب، ثم بعده القمر، ثم الشمس. فلما أخضعها لمنطق العقل وجدها كلها تأفل، فخلص بعقله -من خلال ذلك- إلى حقائق نسبية تفيد عدم استحقاق

**على المؤمن أن يفهم ويبلّغ ما ينبغي أن يُفهم بأسلوب ملائم ومنسجم مع المستوى الفكري والعلمي والثقافي لعصره، لأن عنوان التحدي في هذا العصر هو العقل، وسلاح المواجهة فيه هو العلم.**

هذه المكونات التأليه، ومن خلالها إلى الحقيقة المطلقة التي جاءت مقررة في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:٧٩)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سيدنا إبراهيم عليه السلام وإن كان نهجه عقلانيًا، فإن منطلقه كان إيمانيًا، لأنه ما استدل بالكوكب الذي رآه ولا بالقمر ولا بالشمس على الله ﷻ، وإنما استدل بالله عليها بدليل قوله عليه السلام كما حكى عنه ربه ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾(الأنعام:٧٦)، فما جعل عليه السلام هذه الظواهر الكونية، إلا حقائق نسبية أقام بها الحجة على قومه حتى يوصلهم عن طريق المنهج العقلاني، إلى الحقيقة المطلقة التي جاءت مقررة في خطابه كما رأينا.

وبذلك يتضح أن عالم الشهادة الذي نعيشه بحواسنا، هو مادة خصبة للعقل من أجل الخوض في عالم الغيب النسبي، فإذا أحسن الإنسان التعامل معه، ارتقى بالاطمئنان القلبي في عالم الغيب المطلق فكان من الموقنين. وهو ما نستشفه من حقيقة طلب سيدنا إبراهيم من ربه رؤية كيفية إحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٦٠).

وقد يختلف الناس حول مغزى هذا السؤال كما قال

hiragate.com

القرطبي رحمه الله: "اختلف الناس في هذا السؤال، هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكًّا في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة". وذلك لأنه لو لم يؤت العلم من ربه بمنهاج المشاهدة والمعاينة، لما تمكّن من تثبيت اليقين في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية لذلك الزمان. قال تعالى حاكيًا عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(الأنبياء:٥٦).

ولاستيعاب المقصد من طلب إبراهيم عليه السلام رؤية كيفية إحياء الله ﷻ الموتى، ذكر ابن كثير رحمه الله في معرض تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾: "أن إبراهيم بعد ما قال لنمرود ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾(البقرة:٢٥٨)، أراد عليه السلام أن يترقى بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة". فأراد -إذن- بسؤاله ﴿كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أن يرى الكيفية، أي الطريقة التي تمكّنه معاينة تفاصيلها من طمأنة نفسه بعدما لاحظ قدرة الله ﷻ على الإحياء وافترض افتراضات لذلك. فكان أن هيأ الله تعالى له ذلك المختبر الطبيعي، الذي ستكون فيه التجربة العلمية على نطاق البعد المكاني بِصَرِّ الطير وتوزيع أجزائها على قمم الجبال المتباعدة ثم دعوتها، حتى يوصله سبحانه على طريق المعاينة التجريبية بالبرهان والدليل، إلى الإحاطة بحقيقة الإحياء حسًّا ومضمونًا.

## القرآن والمنهج العقلي

وهكذا يتضح أن القرآن الكريم يقر المنهاج العقلاني أساسًا لبلوغ اليقين. فهو عين المنهاج ونبع الاستقامة العلمية، إذ يستوعب بتوجيهاته كل وسائل الملاحظة والفرضية والاختبار، بل ويهيمن عليها بالتوثيق الزماني والمكاني لموضوع البحث، حتى يفضي من خلال حقائق الكون النسبية إلى الحقيقة المطلقة التي ليس بعدها إلا الضلال، وذلك ما يجعل من القرآن كتاب علم لا تحد علومه، كما يقول الأستاذ فتح الله كولن: "إن القرآن الكريم ذا البيان المعجز، هو الذي يجب أن يتكلم، وهو الذي يجب أن يصدر أحكامه ويختم الموضوع بختمه. والقرآن بآياته التي لم تفهم حق الفهم إلا مؤخرًا، يشير إلى الأفق الأخير لما يستطيع العلم بلوغه، وسيجد العلم عندما يتقدم في أي ساحة من ساحاته رايةَ القرآن وهي ترفرف في الأفق البعيد لتلك الساحة، ومن المحتمل أنه في بعض الساحات لن يستطيع بلوغ تلك الرأية".

وهذا ما ينبغي أن يستوعبه كل متطلع لبناء فكر علمي، وكل مقبل على تبليغ فكرة عن دينه، لأن القرآن آيات تهدي إلى الحق، والكون بصائر تعصم الناس من الخطأ، فمن لم يستدل بها على الحق حُجبت عنه كل الحقائق. وفي ذلك نجد أستاذنا كولن يقول: "إن من لا يعرف مجريات عصره، كمن يعيش في دهليز مظلم، عبثا يحاول أن يبلّغ شيئًا عن الدين والإيمان إلى الآخرين، فعجلات الزمن والحوادث ستُفقده التأثير إن عاجلاً أو آجلاً.

ومن هنا فعلى المؤمن أن يفهم ويبلّغ ما ينبغي أن يُفهم، بأسلوب ملائم ومنسجم مع المستوى الفكري والعلمي والثقافي لعصره".

نعم، ذلك ما يجب أن يتبناه كل داع إلى الله ﷻ في هذا الزمان، لأن عنوان التحدي في هذا العصر هو العقل، وسلاح المواجهة فيه هو العلم، وعلى أساس ذلك النهج جاءت هذه السطور تفتح آفاق التفكر في يقينيات العلم التي أصبحت اليوم تشكل أهم الوسائل المجدية في الدعوة إلى الله ﷻ، وتفضي مسالكها إلى حيث يجد الذاكر والمتفكر نفسيهما على اتصال مباشر بيقينيات هذا الكون التي هي معيار توازنهما مع مكوناته، ودليل انسجامهما مع نظامه وحقيقته. ■

---

(*) كلية العلوم، جامعة ابن طفيل / المغرب.

**المراجع**


(١) طرق الإرشاد في الفكر والحياة، لمحمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٨.

(٢) حقيقة الخلق ونظرية التطور، لمحمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٦.


hiragate.com

د. محيي الدين عفيفي*

# حاجتنا الماسة إلى الرحمة

إن القيم تصنع النسق الأخلاقي للشخصية التي يهدف الإسلام إلى صناعتها، ولذا بعث الله تعالى نبيه لأجل غايات مهمة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة:٢).

إن تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان وتعليم المؤمنين، من المهام الجليلة التي قام بها النبي ﷺ، وما يتحقق ذلك إلا بتعليم القيم الأخلاقية وتربية الناس عليها، قال ﷺ: "بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق" (رواه الإمام أحمد). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، والرحمة من القيم العليا في الإسلام، وهي من صفات الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(الأعراف:١٥٦).

وما من نعمة أنعم الله بها على عباده -عامة كان أو خاصة- إلا وهي

**إن تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان، وتعليم المؤمنين، من المهام الجليلة التي قام بها النبي ﷺ، وما يتحقق ذلك إلا بتعليم القيم الأخلاقية وتربية الناس عليها.**

أثر من آثار رحمته كالصحة، والمال، والزوجة، والأبناء الصالحين.. كلها من رحمة الله تعالى.

إن الله يحب من عباده أن يكونوا على صفته، رحماء فيما بينهم، فيعطف كبيرهم على صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويواسي غنيهم فقيرهم، ويعين قويهم ضعيفهم، ويرشد عالمهم جاهلهم، ويرى الأبناء رحمة الآباء، والتلاميذ رحمة المعلمين، والمرضى رحمة الأطباء.

وكما أوجب الله تعالى على الإنسان أن يرحم أخاه الإنسان، أوجب عليه أيضًا أن يرحم الحيوان؛ لأن الرحمة أثر من آثار الإيمان، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (رواه الترمذي)، وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "من لا يَرحم لا يُرحم" (متفق عليه).

والإسلام لم يبن المجتمع بالتشريع وحده، وإنما بناه من خلال التربية وتحويل العبادات إلى قيم تسمو بالإنسان، وسلوك يزكي النفس. إن سنَّ القوانين والتشريعات يحتاج إلى نوع من التأهيل والتربية الأخلاقية للمجتمع، حيث تعدّ تلك التربية من الضمانات العلمية التي تعمل على احترام القوانين والتشريعات. إن الإسلام لم يأت فقط لعلاج المنحرفين، بل ركز على تزكية النفوس وتهذيب الأخلاق.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾(الرحمن:١-٢)، لماذا لم يقل الجبار أو القهار وقال الرحمن؛ حتى يعلمنا أن التعليم والتربية لا يقومان على الإكراه أو القهر أو التعالي أو التحقير أو غير ذلك من الأساليب الخاطئة في التعليم. وإنما يقوم التعليم على الرحمة بين العالِم والمتعلم، والخاصة والعامة، والأساتذة والتلاميذ بين الآباء والأبناء؛ لأن التعليم والتربية بحاجة إلى الحب والرأفة والرحمة والمودة.

إن قيمة الرحمة تحتاج إلى من يفهمها ويبلورها في مجال العلاقات الإنسانية والحياتية في مجال التوجيه والدعوة وفي الخطاب الذي يوجه للآخر. ولذا فإن قيمة الرحمة تحتاج إلى بلورة وترجمة عملية في محيط الأسرة في التعامل مع الأولاد؛ دخل الأقرع بن حابس على رسول الله ﷺ فرآه يقبّل الحسنَ والحسين ﷺ، فقال تقبلون الصبيان فما نقبّلهم، فقال النبي ﷺ: "أوَ أملك لك أن نزع الله من قبلك الرحمة" (متفق عليه).

عندما تقبّل ابنك أو ابنتك، تشعره بالمودة والحنان والدفء، وتشبع رغبة وحاجة بداخله، مما يسهم في تنشئته تنشئة سوية، ويجعل شخصيته إيجابية ينشأ وهو محب للحياة والأحياء، وهو يستشعر قيمة الرحمة. إن التعامل مع الكبير يحتاج إلى الرحمة التي تتمثل في مظاهر عدة، لعل من أبرزها احترامه وتقديره، وإكرام ذي الشيبة، وإنزال الناس منازلهم.

والرحمة تملي على الإنسان احترام الكبير والصغير، والحرص على معاملة الناس بما يحب أن يعاملوه به.

إن حاجه المجتمع اليوم إلى استعادة منظومة القيم، تملي علينا أن نتعاون في إحياء الفضائل؛ إن نبي الله موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين -﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(القصص:٢٣)- كان المجتمع آنذاك يقوم على القوة والبطش، ولا يقيم وزنًا للمرأة فهي مهضومة مظلومة. ماذا فعل موسى عليه السلام: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، لقد بدأ موسى عليه السلام بنفسه فتولى مهمة التصدي للواقع ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾.

وهذا يؤكد على دور العلماء والدعاة أن يبادروا إلى تحويل القيم إلى سلوكيات عملية. إن التغيير في الأنماط السلبية في التعاملات الحياتية، يحتاج إلى شجاعة وإقدام وأخذ لزمام المبادرة.. فأنت بصفتك إنسانًا أليس لك بنات، أو بنات أخ، أو بنات أخت؟ هل لك أن ترعى أو تسهم في رعاية هؤلاء، أو تقدم لهم معونة، أو تسهم في علاج مريض، أو تصحيح فكر إنسان ضال؟ أليس بإمكان الإنسان أن يرحم مَن حوله من الناس حسب أحوالهم؟ ماذا فعل سيدنا موسى عليه السلام؛

hiragate.com

سقى لفتاتين (ابنتي شعيب عليه السلام).

إن أبواب الخير مفتوحة على مصاريعها، فاستطاعة الإنسان أن يتراحم وأن يساعد في إحياء قيمة الرحمة، لأن حياتنا التي نحياها غاضت فيها ينابيع الرحمة والمودة، حتى الزواج الذي جعله للسكن والمودة والرحمة، تحوَّل إلى عملية ميكانيكية في حياة فئات غير قليلة من الناس لا مجال فيها لقيمة الرحمة بكل معانيها، سواء بين الزوجين، أو بين الآباء والأبناء عملية متبادلة، جفاء وقسوة، جُزُر منعزلة، صلات تقوم على تلبية الاحتياجات المادية بالدرجة الأولى.

في حالات كثيرة، تبدو سلوكيات الإنسان في البيت وفي الشارع وفي العمل، تفتقد إلى معاني الرحمة، والواجب التخلق بخلُق الرحمة، سواء في مجال التعامل مع عالم الإنسان، أو عالم الحيوان، أو عالم النبات والبيئة بكل ما فيها. إن الرحمة التي أرسل النبي ﷺ لتحقيقها، عمّت جميع المخلوقات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧).

وينبغي أن يكون المسلم رحيمًا حتى مع المخالفين فيتمنى الهداية لهم، لأنه ليس من الرحمة أن ندعو على المخالفين في الدين، أو نلعنهم، أو نتمنى لهم المصائب.. إننا بحاجة إلى حوار موضوعي تتجلى فيه آثار الرحمة، من خلال التركيز على المشتركات الإنسانية وليس على العقائد؛ لأن اختلاف الناس إرادة إلهية، وسنة من سننه سبحانه. ولو أراد الله أن يجمع الناس على دين واحد، أو مذهب واحد لفعل، ولكن شاء الله أن يختلف الناس اختلاف تنوع وثراء وتعدد، مما يؤكد الحاجة إلى جعل الاختلاف سبيلاً للرحمة وللائتلاف بدلاً من الخلاف والتعصب والغلو والتطرف الذي أخذ فئات من الناس إلى التكفير والتفجير والتفسيق والتبديع.

إن قيمة الرحمة تحتاج إلى فهم يحوّلها إلى سلوك يمنع الناس من ردودهم على بعضهم واختلافهم في مسائل فرعية تتحملها دلالات النصوص. إن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا، سواء على مستوى العلاقات في محيط الأسرة، أو ميادين الحياة. ■

(*) الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية السابق / مصر.

## مروج العطاء

للعالَمِ أفـرغْ طاقـاتِـكْ
فَجّر ينبوعَكَ من ذاتِـكْ
وتَحَـرّكْ لا تسْـأمْ يـومًا
واصلْ بالحُبّ عطاءَاتكْ
سَتُحيلُ الصحْراءَ مُروجًا
خضْراءَ بلمْسَةِ خُطْواتكْ

***

ياسر الششتاوي*

# وقت الحساب

أنادي الأهل والأصحابْ؛ أين شموس قوتي؟ وأين فورة الشبابْ؟ تلك الحياة كم تخادع الورى، وتبذر السرابْ.. تلك الحياة تفتن الخطى، وعندما يجيء الموت، يكشف الحجابْ.

في وحشة القبر، أنا وحدي، وكنت في الحياة ملء أسماع الرحابْ.. وكان حولي ألف عينٍ، وامتدادات الزوايا، في دمي تقشر المدى، ولا تعانق الغيابْ.. ما عاد حولي في متون القبر، غير عظمةٍ نخرةٍ، وصدمة العيش، بأحضان الترابْ.. الدود قادمٌ إليّ، ينهش اللحم ويشرب الدماء، دونما خوفٍ ولا انسحابْ.. الدود قادمٌ إليّ، ناشدًا جسمي، ولن ينقذني منه شجاعةٌ ولا حرابْ.

وحدي هنا، تركت ظل زوجتي، وثروة العمر، وفتنة الذهاب والإيابْ.. كانت حياتي مثل موجةٍ ببحر الوقت، أو كمثل سطرٍ في كتابْ.. كنت أظن أنني سوف أعيش غارقًا في لذةٍ ممهورة بصحةٍ، ووافر الأسبابْ.. وأقطف الأحلام من حديقة الإنجاز، حتى أمسك السحابْ..

لكنه الموت، حقيقة الحقائق التي نغفلها، حتى نرانا، في يديه مثلما الأكوابْ.. يكسرنا ويترك الزجاج، يجرح الذين كم أحبونا محبةً، بلا وجه نفاقٍ، أو مقاليد ارتيابْ.

في وحشة القبر، أنادي الرب، كي يرحمني، ولا أبقى فريسة العذابْ.. فكم فعلت من ذنوبٍ، وأنا أصارع الحياة، رغبةً لأن أفوز بالذي أرجو من الرغابْ..

فكم رقصت للأماني المشتهاة، عندما تحققت، ودقت الأبواب، وكلها كانت سرابًا، ليس بين القبر بعد الصالحات من صحابْ. وحدي مع القبر، أرى الملائك الآن تجيء، قد أتى وقت الحسابْ. ■

---

(*) شاعر وروائي مصري.

د. حسن الأمراني*

# النور الساطع

بنورك ساطعًا عاد الشَبابُ ... وأصبح ريّقًا هذا الإهابُ
ولولا نُورك الوهَّاجُ صِرْفًا ... لغَشَّى نُورَ عينيّ الضبابُ
ولوْلا سيبُكَ الجَاري سحابًا ... ببسْتاني لما نفَع السحابُ
ولولا ذَوْبُ نُورِكَ في كؤوسي ... يؤانسني لما طابَ الشَّرابُ
ولولا ما تفجَرَ من عيُونٍ ... لضمَّ حدائِقِي هذا اليبابُ
أحِبُّكَ والحروف البيضُ شاختْ ... فهلْ يَبْيَضُّ من فِعْلي كتابُ؟
أخافُ الذَّنْبَ سربلني وأرجُو ... شفَاعَةَ مَنْ محبته المآبُ

(*) شاعر وأديب مغربي.

www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

**رئيس التحرير**
هانئ رسلان

**مدير التحرير**
نور الدين صواش

**الإخراج الفني**
نور الدين محمد
محمد أشرف

**منسق الاشتراكات**
محمد علي
+201094338182
+201102122946

**نوع النشر**
مجلة دورية تصدر كل شهرين

**الطباعة**
دار الجمهورية للصحافة

**رقم الإيداع**
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-72

## المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

## معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201094338182 - +201102122946
hiragate@yahoo.com

IRAQ
Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

# رمضان كريم

كل عام أنتم بخير

HIRAGATE

HIRAMAGAZINE

HIRAMEDIA

MAGAZINEHIRA

WWW.HIRAGATE.COM

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002

@daralinbiath | @daralinbiath

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

# سُلّم الوصل

تَوَقّفْ تعَرّفْ دروبَ الوجودْ لِئَلّا تتِيهَ بدرْبٍ شَرُودْ
فتسقط حينًا وتنهض حينًا وتمضي ولا شيءَ إلا سدودْ
وبعْدُ تخورُ قُواكَ وتبْقى كسيرَ الجناحينِ رهْنَ القيودْ
توقفْ لتنظرَ سُلّمَ وصْل وتغْدو بأمنٍ لدارِ الخلودْ.

***

ISSN 2357-0229
www.hiragate.com